من وحي المنبر

تأليف

العارف بالله تعالى

سيدى الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى

حفظه الله تعالى

الناشر : دار جوامع الكلم - ت : ٥٨٩٨٠٢٩

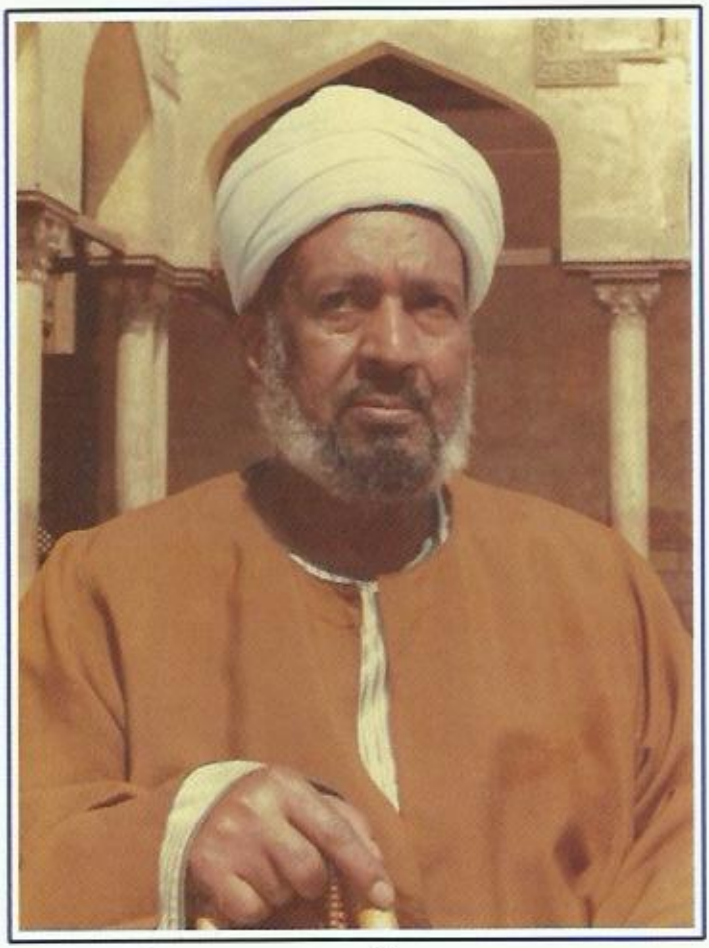

صورة العارف باللّه تعالى الإمام الأزهرى
الشيخ صالح الجعفرى رضى اللّه تعالى عنه
مؤسس الطريقة الجعفرية

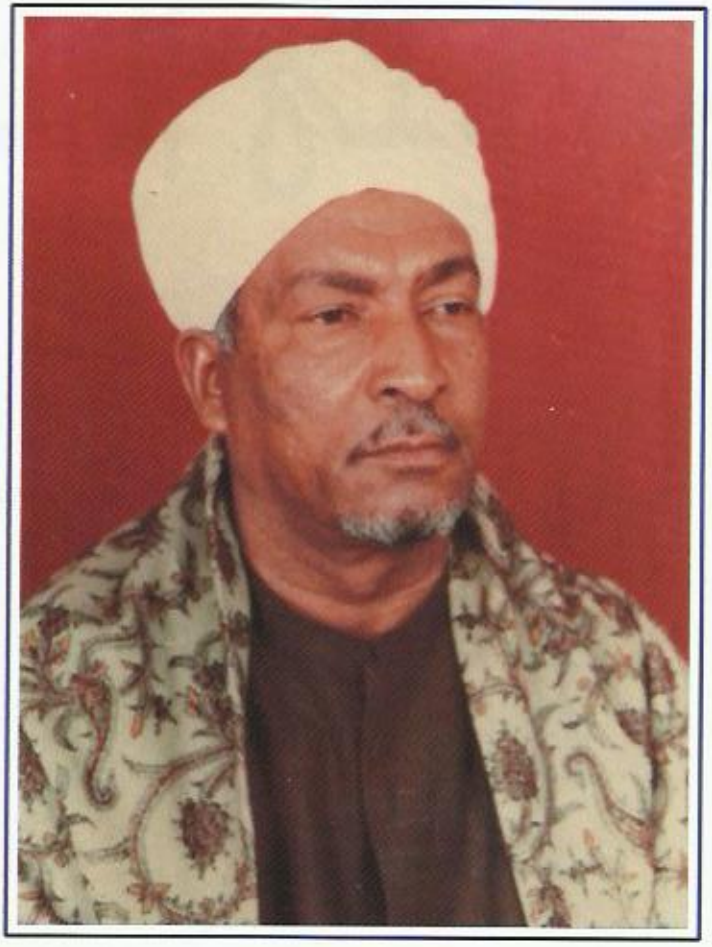

صورة سيدى الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ عموم الطريقة الجعفرية الأحمدية
المحمدية بمصر والسودان

من وحي المنبر

للعارف بالله تعالى

الشيخ عبد الغني صالح الجعفري

حفظه الله تعالى

الناشـــر

دار جوامع الكلم

الدراسة - القاهرة ت : ٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذى يصطفى من يشاء من عباده ويجعلهم هداة مهديين ، ويفيض عليهم من أسرار العلوم ما يجعلهم نجوم هداية للحائرين ، وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد باب العلوم وإمام المتقين ، الذى آتاه الله - تعالى - علم الأولين والآخرين ، وأنزل عليه كتابه المبين ، وهو المعجزة الباقية إلى يوم الدين ، ورضى الله - تبارك وتعالى - عن آل بيته العلماء العاملين ، والهداة المرشدين ، وعن الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذا الكتاب يشتمل على دررغالية من العلوم النفيسة والمواعظ البليغة التى أجراها الحق - سبحانه وتعالى - على لسان قمر هذا الزمان ؛ سليل أهل بيت النبوة ؛ الإمام الزاهد المتواضع ، والعالم العامل الخاشع ؛ العارف بالله - تعالى - فضيلة الشيخ عبد الغنى إبن إمام أئمة الأزهر فى عصره ، وشيخ المشايخ فى وقته ودهره ؛ سيدنا ومولانا العارف بالله - تعالى - فضيلة الشيخ صالح الجعفرى - رضى الله تعالى عنه - مؤسس الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية ؛ الذى ينتهى نسبه إلى سيدنا جعفر الصادق بن سيدنا محمد الباقر ابن سيدنا على زين العابدين بن سيدنا ومولانا سيد الشهداء الإمام الحسين بن على - رضى الله تعالى عنهم - أجمعين .

ومؤلف هذا الكتاب وُلد فى مدينة دنقلا - عاصمة المديرية الشمالية بالسودان - وهو الابن الوحيد لسيدنا ومولانا العارف بالله تعالى سيدى الشيخ صالح الجعفرى - رضي الله عنه - وقد تركه والده بدنقلا وهو صغير لم يدخل الخلوة (الكُتَّاب) ؛ حيث سافر إلى مصر وتركه وأسرته فى كفالة جده الحاج محمد صالح الجعفرى - رضي الله عنه - وكان سفر سيدى الشيخ صالح الجعفرى - رضى الله تعالى عنه - إلى مصر لطلب العلم بالأزهر الشريف ؛ حيث لم يثنه عن طلبه تركه لوطنه ، ولا مفارقته لابنه الوحيد ، وكان يجمع بين طلب العلم والدعوة إلى الله - تعالى - بالخطابة والوعظ والإرشاد خدمة للدين والعلم ، واستمر على ذلك ولم يذهب إلى السودان إلا زائراً عابراً حتى انتقل إلى رحمة الله - تعالى - ورضوانه .

وكانت عناية الله - تعالى - تحيط بابنه الوحيد الذى تركه ليجاهد فى نشر شريعة الإسلام ، وهداية الحائرين ، فتربى ونشأ مع أخته فى كنف جده ، وعاش معه فى منزله ؛ حيث كانت والدته ترعاه وترعى أخته وتتولى أمورهما .

فلما وصل إلى سن التعليم وهو سبع سنوات دخل الكُتَّاب فى دنقلا وتعلم به بجوار المسجد الكبير ، فحفظ القرآن الكريم ، ودرس شيئا من مبادئ اللغة العربية ، وانتقل من الكُتاب إلى المدرسة الأولية والمعهد العلمى بمسجد دنقلا العتيق .

وفى أثناء دراسته بالمعهد العلمى كان يُدرس بالكُتاب مساعدة لشيخه .

وفى عام ١٩٤٣ طلبه والده - رحمه الله - لزيارة مصر ، فذهب مع والدته وأخته حيث أقاموا فى مصر عاماً كاملاً دخل فى أثنائه القسم العام بالأزهر فى السنة الثالثة .

ثم سافر إلى السودان فى آخر عام ١٩٤٣ ، وواصل تعليمه بالمعهد العلمى ، ودخل مدرسة أهلية ابتدائية افتتحها عباس ماهر المصرى للتدريس بها ، واستمر يُدرس بالكُتاب إلى أن انتدبه مفتش التعليم : حسن أبو درق للتدريس بها رسميا بعد زيارته لها وسجل مذكرة بذلك .

فلما توفى شيخ الخلوة الكبير المشهور الشيخ حامد النجار واصل محله الشيخ أحمد الباشكاتب وعمل معه ، ثم اتسعت الخلوة وصارت فصلين ، وسماها سيدى عبد الغنى : « مدرسة أطفال دنقلا » ؛ ثم صارت مدرسة أهلية صغرى وسماها « مدرسة السعادة النموذجية »

واستمر كذلك ، وأخذ يترقى من مدرس إلى مدرس أول فمدير للمدرسة حتى وصل إلى رتبة موجه تربوى .

ثم طلبه الاتحاد الاشتراكى بواسطة محافظ المديرية الشمالية ليكون المدير التنفيذى لأمانة المديرية الشمالية .

ومكث ١٦ سنة فى تلك الوظيفة ، وكان أمين قسم مدينة دنقلا وعضو لجنة المنطقة الوسطى ، وأخذ دورتين عضواً فى المؤتمر العام للاتحاد الإشتراكى ، ومكث فى الاتحاد الاشتراكى إلى أن انتهى عهد الرئيس جعفر نميرى ، فعاد إلى وزارة المعارف « التربية والتعليم » فى وظيفة موجه فنى للتعليم فى المنطقة الوسطى .

ثم لما جاءه نبأ وفاة والده - رضي الله عنه - طلب الإحالة للمعاش ليسافر إلى مصر ويتفرغ لإكمال ما بدأه والده من تربية المريدين فى الطريقة الجعفرية التى أسسها بالأزهر الشريف ، ولم تكن من الطرق الرسمية فى مصر ، فكان أول عمل قام به هو عمل تصديق رسمى بالطريقة الجعفرية الأحمدية من المشيخة العامة للطرق الصوفية بمصر .

ثم أخذ يعمل بجد واجتهاد على نشر الطريقة ، والمحافظة على تراث والـــــده - رضي الله عنه - فقام بتأسيس المساجد والساحات على امتداد مصر من الإسكندرية إلى أسوان ، كما قام بنشر مؤلفات والده والعناية بتحقيقها ونشرها فى أحسن صورة .

ومـازال - حـفظه الله - يكافح ويجـاهد فى إعـلاء راية الإسـلام عن طريق نشر التصوف الحقيقى السالم من الخرافات والتظاهر وأعمال الجهل والشعوذة .

ونسأل الله - تعالى - له الحفظ والعمر المديد ؛ حتى يسعد أبناء الإسلام برؤيته وتوجيهاته وإرشاداته ؛ إنه سميع مجيب .

وهذا الكتـاب ثمـرة من ثمـار جـهـاده وكـفـاحـه فى نشـر الدعـوة بالسودان ؛ فقد كان إلى جانب عمله فى التدريس وغيره ؛ يقوم بالخطابة والوعظ والإرشاد ، ويسجل بعض ما يلقيه من خطب ، ولما وجد من المحبين رغبة فى الانتفاع بهذه الخطب لم يتردد فى نشرها ليعم النفع .

وهى خطب جميلة العبارة ، جزلة الأسلوب ، تأسر الألباب بفصاحتها وجـزالتـهـا كـأنـهـا سلاسل من ذهب أو در منثور ، وتعـد مـدرسـة لتـعليم فن

الخطابة ، وكيفية مخاطبة الجماهير و التأثير فيهم حتى يتجهوا لطاعة الله - تعالى - والعمل بأوامره واجتناب نواهيه .

ومن قرأها بتأمل وتعمق عرف كيف يمكن للخطيب أن يجذب القلوب والأرواح بأسلوبه الجميل ، وطريقة عرضه للموضوع ، وتشويق السامعين لما يعرضه عليهم من حقائق الشريعة .

وقد بدأت بخطبة التوبة لحث الشاردين على الرجوع إلى حظيرة الاسلام ، ولما كانت التوبة طهارة للتائب وعزاً له انتقلت إلى طهارة الظاهر والباطن ، والتماس العزة بطاعة الله تعالى ، وتحقيق عزة المسلم بالقضاء على الرق ، ثم انتقلت إلى عبادة الصلاة فتحدثت عن السعى إلى المساجد ، والدخول فى ضيافة الرحمن ، وبيان رسالة المسجد، واجتماع المسلمين فيه يوم الجمعة لطلب العلم والهداية والتفقه فى الدين .

ثم انتقلت إلى عبادة الصيام ، فتحدثت عن شهر رمضان بصفته شهر القرآن وشهر الجهاد ، وعن الدروس المستفادة من الصوم ، ومايطلب من المسلم فى عيد الفطر .

ثم انتقلت إلى مقام الإيمان بالحديث عن حكم الردة ، وعن صفات لا تكون إلا فى المؤمنين كالحياء ، والحلم ، وحفظ الأمانة ، والتحذير من صفات تنافى الإيمان كالغيبة ، والنميمة ، واليمين الغموس .

ثم انتقلت إلى مقام الإحسان بالحديث عن الولاية والأولياء ، ومحبة النبى ﷺ والاحتفال بمولده ، وحليته وصفته .

ثم ختمت بالحديث عن مسئولية الكلمة ، وأهمية الدعوة إلى الله

تعالى ، وعن قيمة الوقت بالنسبة للمسلم ، وأهمية الاستعداد للموت الذى هو نهاية كل حى ، وباب الوصول إلى الدار الآخرة .

فجزى الله ـ تعالى ـ شيخنا عما خطه من تلك الخطب خير الجزاء وأكمله ، ونسأل المولى ـ سبحانه ـ أن ينفع بها المسلمين ، وأن يجعل كتابه هذا مناراً للطريق ، وسبباً من أسباب التوفيق . إنه نعم المولى نعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

كتبه
الفقير إلى الله تعالى
عبد العظيم فتحي خليل
أستاذ اللغويات في كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة

التـــوبة
من أشرف المقامات

الحـمـد لله . ومن بالحـمـد أولى منك يارب وأنت رب العـالمين . سبحانك نعتز بالعبودية لك لأنك مالك يوم الدين . ولا إمداد إلا منك لـذلك (إياك نعبد وإياك نستعين) . نشهد أنك لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم . تبسط يديك بالليل ليتوب مسئ النهار ، وتبسط يديك بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها . سبحانك من حليم وسع كرسيه السموات والأرض ، غفور يغفر الذنوب جميعا وإن كانت مثل زبد البحر ، أو وصلت عنان السماء ، تواب يقبل التوبة عن العباد ويعفو عن السيئات .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة . الذى هدانا به الله إلى الصراط مستقيم ، وجعلنا من الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

اللهم صلّ على سيدنا محمد صلاة دائمة بدوام الله العظيم ، تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد ياذا الخلق العظيم ، فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم .

أما بعـــد

الاخوة ضيوف الرحمن :

إن يومنا هذا يوم الجمعة عيد فى السماء وعيد فى الأرض ، خصه

الله ـ تعالى ـ بساعة الاستجابة . فما من داع يرفع أكف الضراعة ويدعو الله بسؤاله إلا كان له ما يريد ، وبخاصةٍ الذين هاجروا من بيوتهم ولبسوا أجمل الثياب وتعطروا وكانوا فى ضيافة الرحمن فى بيت من بيوته ، وأنتم هكذا الآن فى هذا اللقاء الروحى ، وفى هذه الجلسة الرحمانية نجتمع على فريضة نتقرب بها إلى الله فى خشية ووقار وهيبة وجلال ، تركنا الدنيا ومشاغلها ، والحياة ومتاعبها ، والمال والأهل والبنين ، شعارنا الله أكبر . والله أكبر من كل شئ وعلى كل شئ ، وإذا كان أمرنا جميعا كذلك فإن حديثى معكم اليوم غير تلك الأحاديث التى تعودتموها ، فقد تناولنا الكثير ونسينا أنفسنا ، واليوم نبدأبها نفتح أمامها باب الأمل والرجاء .

أيها الإخوة المؤمنون .

تعالوا بنا جميعا بقلوب واعية ، وعقول عاقلة ، ونفوس راغبة ، لنجلس فى مدرسة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ محمد بن عبد الله . وفى لقاء مع رحمة الله للعالمين ليقول لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ « **إن الله ـ عز وجل ـ يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها** » [1] .

الأخوة ضيوف الرحمن .

إن من أشرف المقامات التى يعبر بها الإنسان إلى الله ـ تعالى ـ مقام التوبة ، والتوبة هى بداية العبد ونهايته ، ومنزلها أول المنازل وأوسطها وآخرها ، ومنها يتنقل العبد بين منازل التوبة والإنابة إلى منازل القرب والوصول

---

(١) رواه مسلم والنسائى عن أبى موسى .

والفناء ، ومهما تكن منزلة العبد مع ربه فإنه لابد مستصحب معه منزلة التوبة ومقامها والتوبة أول باب يدخله العبد إلى حضرة الرب - تعالى - فحديثى معكم عن التوبة ، وهو حديث هام . يقول ربنا - سبحانه - : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (١) .

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : هذه الآية مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه ، ودعاهم إلى التوبة بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه ، وأتى بأداة (لعل) المشعرة بالترجى إيذانا بأنه لايرجو الفلاح فى الدنيا والآخرة إلا التائبون .

وفى آية أخرى يقول - عز وجل - : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (٢) .

فالذين يتقاعدون عن التوبة وينسونها أو يتناسونها أو يستصعبونها ظالمون لأنفسهم ، خاسرة أعمالهم ، ونحن فى لقائنا مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - نرتوى بحديثه عن التوبة ، ونزداد يقينا بفضل الله علينا ورحمته إيانا .

يقول عليه الصلاة والسلام : « **يا أيها الناس توبوا إلى الله . فوالله إنى لأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** » (٣) . وكان أصحابه يعدون له فى المجلس الواحد قبل أن يقوم أن يقول : « **رب اغفرلى وتب على إنك أنت التواب الرحيم ، مائة مرة** (٤) .

---

(١) سورة النور ، الآية ٣١ . (٢) سورة الحجرات ، الآية ١١ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

(٤) رواه أبو داود - عن نافع عن بن عمر - رضي الله عنهما -

إن التوبة رجوع ، والرجوع هنا يكون إلى الله العلى الأعلى ، والذى يستنكف عن التوبة ويأباها إنسان قد خسر نفسه ودينه .

والتوبة لا تكون فقط للمذنبين . بل هى كالاستغفار للذين لاذنوب لهم أيضا . ويندر أن تجد من لاذنب له . وحتى إن وجد فحاجته إلى التوبة لا تقل عن حاجة المذنبين ، يقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **لن ينجو أحدكم بعمله . قال الصحابة : ولاأنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل** » [1] .

والتوبة تعنى أنك نادم على عصيانك لله . آسف على ضعفك أمام نفسك والشيطان ، وهذا الندم وحده كاف لأن يمنحك الله عفوه مادمت قد وجدت مكان حلاوة المعصية مرارة الندم . ومن ثم فالفرح بالمعصية والشوق إليها يعنى أن توبتك باءت بخذلان .يقول الإمام ابن القيم « **الفرح بالمعصية دليل على شدة الرغبة فيها ، والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها . ففرحه بها غطى ذلك كله ، وفرحه بها أشد ضررا عليه من ارتكابها** » .

والمؤمن لاتتم له لذة بمعصية أبدا ، ولايكمل له بها فرحة ، بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط قلبه ، ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور به ، ومتى خلا قلبه من هذا الحزن واشتدت غبطته وسروره فليتهم إيمانه ، وليبك على موت قلبه ، فإنه لو كان حيا لأحزنه ارتكابه للذنب ، وإذا فارق الإحساس بهذا فما لجرح بميت إيلام .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه والترمذى فى سننه وغيرهما عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ .

والتوبة إقرار أكثر مما هى اعتذار ؛ لأن الاعتذار محاجة عن الخطيئة ، وترك الاعتذار اعتراف بها ، ولسان حال التائب هذه الضراعة :

اللهم لا براءة من ذنب فأعتذر ، ولاقوة لى فأنتصر ، ولكننى مذنب مستغفر .

ويبشرنا الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - أن التوبة قادرة على محو الخطايا مهما تكثر وتتعاظم . يقول - صلى الله عليه وآله وسلم -: « **لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم** » [1] .

أى كرم أكرم من هذا ؟ ! وأى عطاء أجزل من هذا ؟ ! وأى باب أوسع من هذا ؟ !

سبحانك ربى وسعت مغفرتك ذنوب المذنبين ، ووسع حلمك جهل الجاهلين .

يقول الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة** » [2] . والإنابة هى التوبة ، والتوبة كما قلنا رجوع إلى الله ، وفرار من الإثم والذنب إلى رحمة الله الرحمن الرحيم، إلى باب التوبة والإنابة . وليس ثمت خطأ مهما كبر يتعاظم أمام عفو الله ومغفرته ، وهذا من تمام النعمة على عباده . فلولا التوبة وقبولها لاحترق الناس من نيران اليأس والندم . ولقد كان من واسع كرمه وفضله أن جعل الرجاء فى رحمته علامة الإيمان ، واليأس من رحمته علامة الكفر .

---

(١) رواه ابن ماجة فى سننه عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -

فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾(١) .

وقـــال : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ (٢) .

وقـــال : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٣) .

أخي المسلم

أهناك دعوة لا ستثمار رحمة الله أوسع وأصدق من هذه الرحمة ؟

إن التوبة من أعظم هبات الله للمؤمنين ، وإنها خير وأذكى من كل ما فى الأرض من ذهب وفضة ، ولو لاها لهلك المؤمنون تحت مطارق اليأس ومقارع القنوط ، لكن الله البار بعباده يعطيهم ثم يعطيهم حتى لا يبقى لمتخلف عذر .

يحدثنا ابن عباس - رضي الله عنهما - فيقول : « **قالت قريش للنبى - صلى الله عليه وسلم - : ادع لنا ربك يجعل لنا جبل الصفا ذهبا . فإن أصبح ذهبا اتبعناك . فدعا النبى ربه . فأتاه جبريل - عليه السلام - وقال له : إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا ومن يكفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لاأعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة . فقال الرسول : بل باب التوبة والرحمة** » (٤) .

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٢) سورة الحجر ، الآية ٥٦ .

(٣) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .

(٤) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - .

والصلاة والسلام عليك سيدى يا رسول الله . يا من هو بالمؤمنين رءوف رحيم ، يارحمة مهداة ، ما أحسن ما اخترت لأمتك ، وما أغنى ما كنزت لها يارحمة الله للعالمين . فالتوبة باب مفتوح بين العبد وربه . بيد أن له ساعة يغلق فيها فلا يقبل من العبد توبة ولا اعتذار .

يقول الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر** » [1] .

يا أمة محمد .. ياحملة الأمانة .. ياورثة النبى : أين أنتم من سيرة نبيكم ؟ ماذا تعملون وماذا تعرفون من ميراثكم ، من أخلاق من كان على خلق عظيم ؟ أين نحن من هذا الموقف الذى يماثل ما سبق :

« **جلس النبى تحت حائط فى الطائف والجراح تدمى ، والدماء تسيل ، ويتلقفها رسول الله بيده الشريفة حتى لا تسقط على الأرض فينزل العذاب . فيهبط عليه ملك الجبال ويقول له : يامحمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : لو أمرتنى لأطبقن عليهم الأخشبين** » والأخشبان : جبلان بمكة » **فرد عليه رسول الرحمة : إنى لأرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله** » .

فالرجاء فى سيرة رسولنا العظيم عطاء . فقد اختار لكم باب التوبة مفتوحا على مصراعيه .

فالتوبة باب مفتوح بين العبد وربه . بيد أن له ساعة يغلق فيها فلا يقبل من العبد توبة ولااعتذار . يقول الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذى وابن ماجة وغيرهم عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -

« **إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر** » . فعمرك بطوله وعرضه فرصة لك لكى تتوب . أما الوثوب على الآثام والاستمرار فيها وإرجاء التوبة إلى غد أو بعد غد حتى يبغتك الموت بغته فقد ضاعت الفرصة وأفلتت منك إلى الأبد . إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر : أى ما لم تبلغ الروح الحلقوم ، وهو فى سكرات الموت .

من أجل هذا يحذرنا الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيقول « واحذروا التسويف فإن الموت يأتى بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله ـ عز وجل ـ فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله »ثم تلا هذه الآية . ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١) .

ونحن مطالبون بالتوبة مهما تكن ذنوبنا ، قوة وضعفا وبدءا وعودا ، فالتوبة جلاء مستمر لقلوبنا . ذلك أن الخطايا تدع قلوبنا سوداء شيئا فشيئا .

يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كان نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب وفزع واستغفر صقل منها ، وإن زاد زادت حتى يغلف قلبه** » . فذلك الران الذى ذكره الله فى كتابه . ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) .

فالمثابرة على التوبة تعنى غسل القلب أولا بأول حتى يظل كالمرآة المجلوة تنعكس عليه آيات الهدى ودعوات الرشاد . أما الغفلة أو التغافل عن التوبة فإنه يملأ القلب صدأ وظلاما ، والعودة إلى الذنوب بعد التوبة عنها ومنها لا تعنى أن باب التوبة قد أغلق دوننا ، فالرسول يقول : « **وما عملت**

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ ، ٨ .

(٢) سورة المطففين ، الآية ١٤ .

من سوء فأحدث له توبة » . فنحن ضحايا لقوى شريرة وعاتية ، هى النفس الهاوية ، والشيطان المغوى ، وقد نتوب من ذنب ونعكف على ذنب آخر ، وحتى هذا لاينبغى أن ينسينا رحمة الله ، ولا ينبغى أن يقعدنا عن التوبة أبدا . يقول الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **إن عبدا أصاب ذنبا فقال : يارب إنى أذنبت ذنبا فاغفره لى . فقال له ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له . ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم أصاب ذنبا آخر . فقال : يارب إنى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى . قال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفرله . ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر . فقال: يارب إننى أذنبت ذنبا فاغفره لى . قال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به . قد غفرت لعبدى فليعمل ما يشاء** » [1] .

ومعنى الحديث أن الإنسان معرض للهفوات والكبوات والخطأ والنكوص ، تصارعه نفسه التى بين جنبيه بنزواتها وشهواتها ، وينازعه الشيطان الذى يجرى منه مجرى الدم ، يحسن له القبيح ، ويسوقه إليه ، تصارعه عوامل الشر التى تجتاحه فى معركة الحياة من ظلم للناس ، وحسد لما أعطى الله الناس ، وحقد على من أنعم وتكرم ، والذنوب أصناف متعددة والإنسان كالذبابة ينغمس فيها وهى نار مهلكة وهو فراشة حائرة .

فتعدد الذنوب مع تعدد التوبة والمغفرة لا ينفد ذلك من بحر مغفرة ربك إلا بقدر ما تأخذه الإبرة من ماء البحر . ومعنى (قد غفرت لعبدى

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

فليعمل ما يشاء) : أن ذلك العبد عرف طريقه إلى الله بتوبته العاجلة والمبكرة من كل ذنب يأتيه ، وهو لايصر عليه ، ونادم على ارتكابه وليس معناه أنه يحمل من الله إذنا للمرور على المعاصى فيعمل ما شاء .

فعلى المرء أن يجدد لكل ذنب توبة صادقة ألايعود بعدها إلى ذنب أبدا ، فاغسلوا قلوبكم بالتوبة كل يوم والإنابة إلى الله الرحمن الرحيم حتى تلقوا الله وما بقلوبكم نكتة سوداء ، يقول المصطفى : « **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** » . وهذه آياته مسفرة لواسع رحمة الله ، وعظيم فضله ، وكريم إحسانه لكل من وقف على باب التوبة ، فالتوبة ممنوحة

« **والتائب من الذنب كمن لاذنب له** » .

« **والتائب حبيب الرحمن** » .

الخطبة الثانية

الحمد لك يارب على ما أوليت وأسديت ، وتفضلت وأعطيت ، ووقفت وهديت ، نحمدك ربى ولاثناء إلاعليك .

وأشهد ألا إله إلا الله . نستعينك ربنا ولا استعانة إلابك . وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد الذى جعلته رحمتك للعالمين ، وجعلته مسك الختام لسائر المرسلين .

اللهم فصل على نبيك محمد صلاة دائمة بدوام الله العظيم

وبعد

شرع الله للإنسان التوبة ليدخل فى حضرة قابل التوب وغافر الذنب صيانة لحركة الهداية فى الأرض ، لأن التوبة لو لم تشرع لكان مجرد وقوع معصية من أى إنسان ذريعة له أن يستشرى فى الأرض بالمعاصى ويستمر عليها طالما هو عاق وعاص ، وحينئذ يفسد الكون بمجرد غفلة إنسان واحد؛ لأنه إذا كان قد تم طرده من الرحمة بمجرد معصية واحدة فلا أمل له أن يرجع ، ولماذا يرجع إلى نهج يحدد حريته وشهواته بالحياة مادامت المعصية الواحدة كافية أن يطرد الإنسان العاصى من رحمة الله ؟!. وإذا تصورنا أن واحداً عصى الله ولم يكن هنا لك باب للتوبة . ماذا يكون ؟ . إنه سيعربد فى الكون فسادا وطغيانا وجبروتا طالما هى « خسرانه . خسرانه » .

فمشروعية التوبة من الحق - عز وجل - هى فتح مجال لرجوع الإنسان الذى انحرف وأخطأ إلى الله ، وهى بمثابة الشعور بالغفلة أو النسيان أو الضعف الذى قد يصيب النفس الإنسانية أمام شهواتها ونزواتها فتعصى الله . هى صلة المؤمن بربه ، ويبين الله أنه أفرح بعبده التائب من أحد المسافرين الذى ضل بعيره الذى عليه راحلته وزاده وماؤه فى صحراء شاسعة ثم أيقن الهلاك واستعد للموت ورقد لملاقاته . ثم وقف أمامه بعيره بحمله . وكذلك الله يفرح بعبده الضال إذا ما تاب وأناب إليه كما فرح المسافر بعودة جمله وراحلته، وصلوا على كامل الذات ، جميل الصفات ، منتهى الغايات ، سيدنا محمد صلاة دائمة بدوام الله العظيم . تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد ياذا الخلق العظيم ، يا ربنا تب علينا إنك أنت التواب الرحيم . تبنا إليك يا رب العالمين .. إليك إليك يا رحمن يارحيم .. إليك إليك يا مالك يوم الدين .. إياك نعبد وإياك نستعين

اللهم أعنا على أنفسنا ورغبها إليك يا رب العالمين .

اللهم تب علينا وأدخلنا فى حظيرة قد سك وقد غفرت لنا ما قدمنا وما أسرفنا .

ربنا سمعنا النصيحة ونحن بعدها محاسبون بما سمعنا .

ربنا ألهمنا رشدنا وألزمنا كلمة التقوى . بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين - ويا أرحم الراحمين .

عبـــاد الله

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

الإسلام دين النظافة

الحمد لله جعل النظافة من الإيمان .

وأشهد أن لاإله إلاالله . يحب من عباده المطهرين . وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله . المنزل عليه قوله تعالى ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (١) .

وعلى آله وأصحابه الذين وصاهم بقوله « **أصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس** » (٢) . صلواتك اللهم وسلامك على رسولك الأمين الذى دعا إلى الطهارة والنظافة ، فرسم لأمته طريق النجاة حتى لا يكون مرض ولاعدوى ، بل جعل النظافة شعار كل مسلم ، والطهارة أمارة كل مؤمن ؛ فالمؤمن هو من نظفت ملابسه ، وطهرت سرائره ، فإذا هو بين الناس كالشامة السوداء على الوجه الأبيض ، ظاهر بنظافته ، مقبول بطهارته ، ظاهره كباطنه .

أيها المسلم : الدين الإسلامى دين اجتماعى خالد ، تضمنت تعاليمه سلامة المجتمع وصيانته ، وكفلت سعادة الإنسان وهناءته ، شرع فى القوانين ما يطهر المجتمع من رواسب التأخر ، وما يرفع من قدر المجتمع ، ويهيئ لأفراده الصحة والعافية ، ويضمن لهم السلامة من كل شر ، والوقاية من كل آفة . تناولت تعاليم الإسلام النظافة كمفتاح للدخول فى عبادة الله - تعالى - فالطهارة ركن من أركان العبادة ، وهى كما قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة المدثر . الآية ٤ .

(٢) رواه ابو داود عن أبى الدرداء .

وسلم - «**مفتاح الصلاة الطهور**»[1] وقال «**الطهورشطرالإيمان**»[2].

فسبحان من أنزل من السماء ماء طهورا ليطهركم به تطهيرا .

فأ قسام الطهارة اثنان :

الأول : ظاهرية فى البدن ، والثوب ، والمكان .

الثانى : باطنية فى النفس ، والجوارح ، والأعمال .

فالظاهرية كبرى وهى الغسل أو التيمم .

وصغرى وهى الوضوء أو التيمم .

فالحديث عن الطهارة « الشخصية » الخاصة بالفرد حديث معروف قصير .

الوضوء ، والحدث الأكبر ، والاستنجاء .

فحديثنا عن الطهارة ، وعن النظافة على ضوء صلاحية ذلك مع المجتمع الإسلامى .

تعالوا بنا إلى مدرسة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - لنسمع ابن عباس - رضى الله عنهما - يقول « **مر النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بحائط من حيطان المدينة أومكة فسمع إنسانين يعذبان فى قبريهما ؟ فقال النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - : إنهما يعذبان ؛ وما يعذبان فى كبير؟ ثم قال: كان أحدهما لا يستتر من بوله ، وكان الآخر يمشى بالنميمة ؟ ثم دعا بجريدة فكسرها**

---

(١) رواه أحمد الترمذى وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه -

(٢) رواه أحمد ، ومسلم وغيرهما من حديث أبى مالك الأشعرى - رضي الله عنه -

كسرتين ، فوضع على كل قبر منهما كسرة ؛ فقيل له: يارسول الله .لم فعلت ؟ قال: لعل الله يخفف عنهما مالم ييبسا، أو إلى أن ييبسا »[1] .

وقد جاء فى بعض روايات الحديث « **أما أحدهما فكان لايستبرئ من بوله** » .

ومعنى هذا أنه لا ينظف نفسه ؛ فضلا عن تلويثه البيئة بما يأتيه من عمل ، وقد تبول رجل فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ورغم أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - نهى الصحابة أن يقطعوا عليه بوله ؛ إلا أنه مرهم بالمبادرة إلى تطهيرذلك المكان بقوله « **أريقواعليه سجلا من ماء** »[2] لتنظيفه وتطهيره .

وقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة فى سبق سائر الأنظمة إلى المحافظة على النظافة ، حيث اهتم بتطهير البدن والثوب والمكان أما عن طهارة البدن ؛ فقد جعل الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة ،وجعل مفتاحها الطهور وهوالوضوء ، ورغب فى الوضوء كثيرا ، وجعله سمة من سمات الأمة المحمدية تعرف بها يوم القيامة ، ففى الأثر « **إن أمتى يأتون يوم القيامة غرًا محجَّلين من آثار الوضوء** »[3] لهذا جعل القرآن الوضوء شرطا فى الصلاة ، رغم تكررها كل يوم ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**

---

(١) رواه البخارى ، والنسائى وغيرهما عن ابن عباس - رضي الله عنهما -

(٢) رواه أحمد والبخارى وغيرهما من حديث أنس - رضي الله عنه -

(٣) رواه أحمد والبخارى وغيرهما عن نعيم المجمر عن أبى هريرة .

وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)

ورغب

فى الغسل كل جمعةعلى الأقل ؛ ففى صحيح مسلم : عنه صلى الله عليه وآله وسلم - « **غسل الجمعة واجب على كل محتلم** »(٢) وإلى تطهير الثوب أشار سبحانه ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٣) .

ولا تكمل زينة المسلم إلا إذا طهربدنه وثوبه وحسن مظهره ، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - فى مسألة تحسين المظهر « **لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعلُهُ حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس** »(٤) ومبالغة فى الطهارة والنظافة ؛ حث الإسلام على استعمال السواك كثيرا ، فرغب فيه عند كل وضوء وصلاة . كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم - «**لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة** » (٥) . وقد نهى من أكل شيئا ذا رائحة كريهة عن

---

(١) سورة المائدة . الآية ٦ .

(٢) رواه أحمد عن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه -

(٣) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

(٤) رواه أحمد والترمذى وغيرهما عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -

(٥) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

الإتيان إلى المسجد ، وأخبر أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم . إن الإسلام منع العبد أن يتخلى فى الطرق التى يمر فيها الناس ، أو فى المياه سواء كانت راكدة أو جارية ، وإنما اتجه التأكيد إلى الماء الراكد لأن التخلى فيه يحوله إلى مستنقع للجراثيم ، والمكروبات ؛ قال صلى الله عليه وآله وسلم : « **إتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد. وقارعة الطريق، والظل** » [1] وقد بالغ الإسلام فى النظافة ؛ حيث جعل الرائحة الطيبة سنة من سنن الإسلام ، وشعيرة من شعائره . قال عليه الصلاة والسلام: « **أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح** » [2] كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم - يعرف أمته قيمة الروائح الطيبة « **حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة** » [3] .

أيها المسلمون :

ألا إن إسلامنا الحنيف لم يسبقه أى تشريع إلى بث قواعد النظافة ، وأسس الطهارة فى البيوت ، والطرق ، والمساجد ، والأفنية ، فضلا عن تطهير البدن والثوب والمكان . قال - صلى الله عليه وآله وسلم - « **إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود** » [4] .

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة وغيرهما عن بن عباس - رضي الله عنهما -

(٢) رواه الترمذى وغيره عن أبى أيوب الأنصارى - رضي الله عنه -

(٣) مصنف عبد الرزاق عن أبيه عن ليث .

(٤) رواه الترمذى وغيره عن سعيد بن المسيب - رحمه الله -

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

قال - صلى الله عليه وآله وسلم - « **تخللوا فإنه من النظافة ، والنظافة تدعو إلى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه فى الجنة** »

أو كما قال « **التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب به** » .

الخطبة الثانية

أيها المسلمون :

لقد جعل الإسلام الماء فى متناول الجميع ؛ حتى يتسنى لعباده الطهارة والنظافة ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ (٢) .

ألا إن للتنظيف مقدمات لابد أن يسبق بها ؛ هى من صميم الفطرة النقية ، والجبلة السوية ، وهى برهان على صدق النية ، ونقاء الطوية ، وهى سنن الفطرة التى بينها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فى الحديث الشريف الذى قال فيه : « **عشر من الفطرة: قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم - أى العقد التى فى ظهور الأصابع - ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء - يعنى الاستنجاء - قال مصعب راوى الحديث: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة** » (٣) .

---

(١) سورة المائدة . الآية ٦ .

(٢) سورة الأنفال من الآية ١١ .

(٣) رواه أحمد والترمذى وغيرهما عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -

أيها المسلمون :

أين دعاة الحضارة الزائفة ، والمدنية المزعومة من هذه التعاليم الهادية ؟ إنهم لايوفرون الماء فى أماكن قضاء الحاجة رغم وفرته ، ويكتفون ببعض الأوراق التى لا تفى بالغرض ، ولا يمكن أن يقبلها الإسلام إلا للضرورة لقد بعث الإسلام الحضارة الإنسانية فى أسمى صورها ، وأجمل مظاهرها ، حيث دعا إلى التجمل فى كل شئ مظهرا وجوهرا .

أتى رجل إلى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - ثائر الرأس واللحية فأشار إليه الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته . ففعل ، ثم رجع فقال - عليه الصلاة والسلام - « **أليس هذا خيرا من يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان** »[1] .

ومن قمة الجمال فى الإسلام أن سمى النظافة بالطهارة لتعم الظاهر والباطن ، والروح والجسد ، ولا يوجد هذا فى أى نظام آخر . نسأل الله - تعالى أن ينظف قلوبنا ، ويطهر أرواحنا ويجمل ثيابنا وأجسامنا ، وأن يصلح منا الظاهر بالشريعة ، والباطن بالإخلاص والحقيقة ، وأن يقبل أعمالنا ، وأن لا يردنا خائبين .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار - رحمه الله -

العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

الحمد لله رب العالمين ، جعل العزة من صفات المؤمنين فقال :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، لايذل من اعتز به ، ولا يهون من جعل سيادته عنده ، ولا يضل من عرف الطريق إليه ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴾ (٢) .

وأشهد أن محمدا رسول الله ، جاء بالدين القيم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم ، وشرع لأمته من النظم ما يكفل لهم - إن تمسكوا بها - سعادة الدنيا وعز العقبى .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين كان لهم فى رسول الله أسوة حسنة ، فتخلقوا بأنبل الأخلاق ، واتصفوا بأكرم الصفات ، وعاشوا أعزة فى أوطانهم ، سادة فى بلادهم .

﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

أما بعد .

فيا عباد الله

---

(١) سورة المنافقون . الآية ٨ .

(٢) سورة طه . الآية ١٢٣ .

(٣) سورة البقرة . الآية ٥ .

بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى أمة كانت تتحكم فيها علاقات اجتماعية من شأنها أن تفرق ولاتجمع ، وأن تجعل العصبية فيها غير موجهة للأمة كلها ، بل للقبيلة وحدها ، فكان العربى يفتخر بقبيلته وبأهله ، ويعتز بالانتساب إليهم أشد الاعتزاز ، ويشعل نار الحرب إذا مست هذه القبيلة بأدنى أذى ، وفى نفس الوقت كان يعلن القتال على من يجاوره من القبائل لأتفه الأسباب مع ما يربطهما من روابط الأخوة والقومية ، وفضلا عن ذلك فإن هذه الأمة لم تكن أكثر الأمم عددا فى دنيا الناس ، ولم تكن أوفرها غنى ، ولا أكثرها علما وحضارة . فما الذى حدث حتى جعل هؤلاء الأقلين فى كل شئ سادة الدنيا وأعزتها ، وأصحاب الأمجاد منها ، ما الذى حدث حتى صار عباد الحجر رواد البشر ؟ ما الذى حدث حتى صار رعاة الإبل رعاة حضارة ورقى وعمران ؟ إنه الإسلام الذى جاء به محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يروى عن أبى مالك الأشعرى ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال:

« **يا أيها الناس اسمعوا وتعلموا واعلموا أن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولاشهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله . فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال يا رسول الله : ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولاشهداء . يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ! انعتهم لنا ، حلهم لنا ـ أى: صفهم لنا ـ فسر وجه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بسؤال الأعرابى وقال: هم ناس من الناس ونوازع القبائل . لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، وتحابوا فى الله وتصافوا ، يضع الله لهم**

يوم القيامة منابر من نور فيجلسون عليها ، فيجعل وجوههم نورا، وثيابهم نورا ، يفزع الناس يوم القيامة ولايفزعون ، وهم أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون » [1].

عباد الله

إن الأمة التى تريد أن تحقق لنفسها أعز الأمجاد ، وأن تعيش عزيزة بين الأمم ، وأن تحيا قوية الجانب مسموعة الكلمة عليها أن تلتزم فى حياتها بالسير فى طريقين واضحين لا تحيد عن واحد منهما . هذان الطريقان هما :

١) طريق الإيمان بالله وحده رب العالمين ، وما يستتبعه هذا الإيمان من عمل جاد مخلص بناء وسعى فى الأرض متصل .

٢) وطريق الجهاد فى سبيل الله - تعالى - وفى سبيل تثبيت هذه الأمجاد ، فبالإيمان المتين نتغلب على المصاعب ، ونثبت على الشدائد ، ومانجحت الدعوة الإسلامية إلابفضل الإيمان الصادق من أبنائها المخلصين الذين قال الله فيهم :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [2].

هذا الإيمان ليس دعوة تقال بلا دليل ، وليس شعارا يرفع بلا مضمون ، وليس نظرية تدعى بدون تطبيق . بل هو يستتبع طريقا جادا يصل بصاحبه إلى تحقيق عزته وكرامته ، وهو طريق الجهاد والتضحية بكل ما هو

---

(١) رواه أبو داود فى سننه ، وفى شعب الإيمان عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -

(٢) سورة الأحزاب . الآية ٢٣ .

عزيز وغال ، بحيث يخاطب المرء نفسه بما خاطبها به ذلك الشاعر العربى الشجاع حيث قال :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحكى لن تراعى
فإنك إن سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لن تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع

والقرآن الكريم يرشدنا إلى أن الإيمان لا ينفك عن الجهاد ، بل إن الجهاد تطبيق عملى له ، ويحمل حملة عنيفة على أولئك الذين يريدون أن يحققوا لأنفسهم أولأمتهم أمجادا رخيصة سهلة عن طريق رفع الأصوات وكثرة الادعاءات .

إن هذا الصنف من الناس وجد فى صفوف الأمة المسلمة منذ بدء وجودها ، وكشفهم القرآن ليكونوا عبرة لمن يسلك سلوكهم ، فهؤلاء جماعة من المسلمين ألمت بنفوسهم البشرية لحظات ضعف طارئة ، وقيل فى الروايات: إنهم كانوا يتمنون أن يأذن الله لهم فى القتال قبل أن يجيئ أوانه ، فلما كتب عليهم القتال فى المدينة فى الوقت الذى قدره الله - تعالى - إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، ونزل فيهم وفى أمثالهم من المعوقين الذين يخشون ملاقاة الأعداء : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلا

تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (١).

مثل هؤلاء الجماعة من الناس لا تتحقق بهم أمجاد ، ولا تعتز بهم دعوة ، ولايسعد بهم وطن ، بل إنهم يضيعون ما يحققه غيرهم من عزة وكرامة ، والأمم لا تخلو فى فترة من فترات وجودها ولا فى مرحلة من مراحل حياتها من مكافحين يصمدون فى البأساء والضراء وحين البأس ، ولايبالون بالشدائد مهما تشتد ، ولابالصعاب مهما تتكاثر ، لأنهم يثقون بحتمية النصر الذى يؤيد به الله عباده المخلصين المجاهدين حسبما قال : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (٣).

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم :

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »

---

(١) سورة النساء . الآيتان ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) سورة المجادلة . الآية ٢١ .

(٣) سورة غافر . الآية ٥١ .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولاعدوان إلاعلى الظالمين .

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الرسول الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فيا عباد الله :

لقد أتى على الأمة الإسلامية زمن كان لها ملك لاتغيب عنه الشمس ولايمطر دونه سحاب ، وكانت أمة رائدة بين الأمم ، لها شخصيتها وذاتيتها التى تستمدها من دينها الحنيف ، ومن تعاليم رسولها الكريم ، ولكى يستعيد المسلمون هذه الأمجاد عليهم أن ينفوا عن أنفسهم كل عوامل العجز والقصور عليهم أن ينفوا عن أنفسهم ثلاث صفات : الوهن الذى يكون فى القلب والذى يهز عقيدة الجندى المقاتل فيسأل نفسه : لماذا أقاتل ؟ ولماذا أحمل رأسى على كفى وأقف هذا الموقف .

الصفة الثانية : الضعف أمام العدو والخشية منه .

الصفة الثالثة : الاستكانة التى تزحف على نفسه فتنهار روحه المعنوية ويهتز السلاح فى يده .

ولهذا يحذرنا القرآن من هذه العوامل الثلاثة المثبطة للهمم ، القاضية على كل الأمجاد فيقول : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا

لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١).

.وهتف بهم فى قوة ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٢).

فأصبح هؤلاء الذين كانوا يعفرون جباههم بالسجود لصنم من خشب أو حجر ، لايحنون رءوسهم لمخلوق ، ولايخضعون إلا لبارئ السموات والأرض ، ولايطأطئون رءوسهم إلا للعلى - جل جلاله - وهم فى سجودهم يبتهلون إليه «سبحان ربى الأعلى» ، وبعد أن كان الواحد منهم يعتز بقبيلته وحدها أصبح يعتز باسم الإسلام ، ويقول قائلهم فى ذلك :

أبى الإسلام لاأب لى سواه اذا افتخروا بقيس أو تميم .

وتتغير العلاقات الاجتماعية من اعتزاز بالأسرة أو القبيلة إلى الأخوة الإسلامية ، والتعاون الوثيق والإيثار النبيل ، وإن ما حدث عقب الهجرة من مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لأصدق دليل على هذه الأخوة الصادقة ويروى البخارى فى ذلك مثلا رائعا لهذا الخلق الفاضل فيقول :

« لما قدم المهاجرون المدينة آخى رسول الله بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع . فقال سعد لعبد الرحمن : إنى أكثر الأنصار مالا فأقسم مالى نصفين ، ولى امرأتان فانظر

---

(١) سورة آل عمران . الآية ١٤٦ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٠٢ .

أعجبهما إليك أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها .

قال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك . أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بنى قينقاع . فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو » [1].

إن مثل هذا الصنيع جدير بأن يمدحه الله - تعالى - ويثنى عليه

فيقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [2].

والتوجيه النبوى الشريف يحث على تدعيم علاقة المحبة بين المؤمنين ، وفى مقابل ذلك عليهم أن يتصفوا بصفات ثلاث تمكن لهم فى الأرض وتؤكد شخصيتهم وذاتيتهم ، فأولا : عليهم أن يصلوا قلوبهم دائما بخالقهم فيستنجزوه النصر الذى كتب للمجاهدين . وثانيا : عليهم أن يجعلوا أقدامهم ثابتة فى كل معركة من معارك الحياة بحيث لايهتزون ولا يتزعزعون بل يواجهون أعداءهم فى صلابة مؤمنة ، ويندفعون إلى هدفهم فى إيمان ونظام وثالثا : عليهم أن يتأكدوا من أن الله ناصرهم على القوم الكافرين لأنهم يقاتلون من أجل البغى والعدوان وإعلاء كلمة الباطل، والمؤمنون يقاتلون فى سبيل الله ، ومن أجل تحقيق السلام والعدل فى

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه ، والبخارى بنحوه عن أنس - رضي الله عنه -

(٢) سورة الحشر . الآية ٩ .

الأرض ، وقد ذكر الله تعالى نبأ هذه الصفات فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

ونتيجة ذلك كله تحقيق الأمجاد الغالية ، والانتصارات العزيزة والحياة الكريمة الطيبة وحسن الجزاء : ﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ (٢) .

لهذا يقول القرآن الكريم عقب هذه الآيات : ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

واتقوا الله عباد الله ، وسيروا سيرة سلفكم الصالح من التمسك بعقيدتكم وبمبادئ دينكم ، وباتخاذ طريق الكفاح وسيلة لتدعيم الانتصارلت واستعادة الأمجاد ، وبذلك يرضى عنا رب العباد ، وباسط الأرض ورافع السموات ، وهو على ما يشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٤٧ .
(٢) سورة الانفطار ، الآية ١٩ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٤٨ .

الرق وعلاجه فى الإسلام

الحمد لله . جعل فك الرقبة مجازا لاقتحام العقبات ، وجعل عتق الرقيق من أقرب القربات .

وأشهد ألا إله إلا الله خلق الخلق فسوى بينهم ، لافضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله منجد الأرقاء ومنقذهم من ذل العبودية ، وباعث المساواة فالناس سواسية كأسنان المشط . اللهم صلِّ وسلم عليه صلاة تنير لنا الطريق ، وتفتح لنا بها أبواب الخير والبركات ، وعلى آله وصحبه الذين وصاهم « **إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ،فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم** »[1] . صلوات الله عليهم أجمعين .

أما بعد فيا عباد الرحمن : يقول الخالق - جل وعلا - بعد أن خلق الخلق فى أحسن صورة وأبدع مثال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2] .

---

(١) رواه ابن ماجة عن أبى ذر - رضي الله عنه -

(٢) سورة الحجرات . الآية ١٣ .

نداء من العلى الخلاق إلى خلقه على الإطلاق . سبحانه ، خلقكم ذكر وأنثى ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، وربط بينكم برباط البنوة، سبحانه ، جعلكم فى قبائل ليعلم الصالح منكم والطالح ، وشعوبا شعارها التعارف لا التناكر ، والتوادد لا التنافر ، والتواضع لا التفاخر ، لا قبلية ولا عنصرية ، ولافرق ولا فروق . إنما أخوة الإسلام لا عصبية الأقوام ، جعل الله ميزان الفضل التقرب إليه ، وعنوان الكمال الخضوع بأمره والامتثال إليه ، جل شأنه أكرم من أطاعه واتقاه ، وعمل بما أمر ، وانتهى عما نهاه . جل شأنه جعل التفاضل فى التقوى ، وجعلها الرباط والعروة الوثقى . إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

أيها المؤمن الكريم : إنها أخوة الإسلام التى دعا بها محمد خير الأنام ، لاعصبية الأقوام .

أيها المسلمون .

فى هذه الأيام تسمعون عن حرب بين الأسود والأبيض من بنى الإنسان ؛ وذلك نتيجة للوضع القائم المظلم الذى خلقه دعاة المدنية المزيفة والمساواة المزعومة ، وذلك الأسود المظلومة نفسه ، المهضومة حقوقه إنه ليجد فى ديانة سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم من الحق ما يرفعه إلى درجة السادة والأولياء . يا دعاة الحرية والسلام : أين الحرية والمساواة من أولئك الذين يطالبون فى إنسانيتهم بحقهم فى الحياة كأفراد لهم ما لغيرهم فى بلادهم .

أيتها الشعوب المتحضرة

يا دعاة الإنسانية .

يا معلنين حقوق الإنسان .

لقد حارب الإسلام اختلاف الألوان ، وهدم الفوارق الناجمة عنه ، لئلا تتخذ أمة لونها الخاص سببا فى الاعتداء على غيرهم بحجة أنها أفضل منها ، أو أعرق حسبا ، أو أشرف نسبا .

أيها المسلمون :

لقد كان أبرز ما فى هذا الدين ؛ تلك المساواةالتى جعلها الدين أساسا من أسسه القوية ، وركنا من أركانه الثابته ثابتة المعالم خالدة على هذا الزمان دروسا رائعة المعانى يلقيها الإسلام على بنى الإنسان .

أيها المسلمون :

يودعكم الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فى خطبة الوداع حيث قدر حقوق الإنسان ، وأعلن مبدأ المساواة . « **أيها الناس إن ربكم ، واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل إلابالتقوى . ألاهل بلغت . اللهم فاشهد** »[1] .

هكذا أعلن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حقوق الإنسان فى خطبة الوداع ؛ هذا المبدأ الكريم ، وهذا الدين القويم ؛ الذى يضع للعالم رسالة الإنسانية فى سياسة عادلة عالمية بعيدة عن النقائص والأغراض.

---

(١) رواه أحمد عن أبى نضرة - رضي الله عنه -

أيها المسلمون :

تمسكوا بالدين ؛ فإنه طريق إلى الله ـ تعالى ـ ، واعملوا بما فيه طاعة لأمر الله ، واعلموا أن الإسلام جاء ليحرر العباد من العبودية لغير المعبود الحق ـ جل فى علاه ـ وقد سلك لذلك أعظم الطرق وأيسر السبل ؛ فحث العبد على شراء نفسه من سيده إن وجد إلى ذلك سبيلا ، كما أمر السادة أن يقبلوا من مملوكيهم المكاتبة على العتق إذا ابتغى الموالى ذلك ، بل حث على مساعدتهم بالمال ، وبين لهم أن ذلك المال ؛ إنما هو مال الله ـ جل فى علاه ـ قسمه بين خلقه ابتلاء واختبارا لهم ، قال ـ تعالى ـ فى ذلك : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (١) .

بل إن الله ـ تعالى ـ لصيانة الكرامة الإنسانية والعزة البشرية التى أولاها لخلقه جميعا ؛ ثم حرم منها بعضهم بسبب ظروف خاصة ، كالأسر أو الاسترقاق ، شرع ـ سبحانه ـ للرقيق نصيبا من الزكاة المفروضة حتى يخلصوا أنفسهم من الرق وذل الاستعباد ؛ فجعل أصحاب الرقاب المملوكة مصرفا ضمن مصارف الزكاة ؛ فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

وما ذلك إلا لفك رقبته وتخليص نفسه من ذلك القيد، هذا ؛ وقد

(١) سورة النور . الآية ٣٣ .
(٢) سورة التوبه . الآية ٦٠ .

رغب سبحانه - فى تحرير الرقاب وفكها ، وجعل ذلك من أسمى القربات وأعظم الطاعات ، ووعد عليه الجزاء العظيم يوم القيامة ، وجعله مجازا أومنفذا لتجاوز عقبات ذلك اليوم العظيم . قال - تعالى - : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ (١) .

بل إنه جعل عتق الرقاب كفارات لكثير من الأخطاء التى قد يتعرض لها المسلم فى حياته ؛ فمن قتل مؤمنا خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة . ومن حلف يمينا فحنث فيه ، وأراد أن يكفر عن هذا الحنث . ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ (٢) .

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ (٣) .

وهكذا نجد أن الله - تعالى - وسع أبواب الحرية للقضاء على الرق والاستعباد ، وجعله من أفضل أنواع القرب إلى الله - عز وجل -.

هذا ، وقد جفف الله - تعالى - منابع الرق ، وأوصد دونه الأبواب من بدايته ؛ حيث كانت مداخل الرق قبل الاسلام كثيرة ؛ فجاء الإسلام بعدله ورحمته وشموله وعموميته ، فحرم - أشد التحريم - الاستعباد من طريق اختطاف

---

(١) سورة البلد . الآيات من ١١ إلى ١٣ .

(٢) سورة المائدة . الآية ٨٩ .

(٣) سورة المجادلة . الآية ٣ .

الأحرار كبارا كانوا أو صغارا ، ولم يبح بحال أن يبيع الإنسان نفسه أو ولده أو زوجته ، ولم يشرع أبدا أخذ المدين رقيقا فى دينه إذا عجز عن الوفاء به ، ولا أخذ المجرم رقيقا بجريمته ، كما عرف ذلك فى شرائع سابقة . قال - تعالى - حكاية عن إخوة يوسف معه - عليه السلام - حين وضع السقاية فى رحل أخيه ليأخذه ويضمه إليه : ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

كذلك لم يجز الاسلام استرقاق الأسير الذى يقع أسيرا من جراء الغارات الظالمة التى تشنهاالقبائل والأمم على بعضها بغيا وعدوانا ، والمعروف فى عصرنا الحاضر باسم الرهائن ، وذلك لأن هذه الغارات فى عرف الإسلام غاشمة وظالمة، وكل ما ترتب عليها كذلك ، ولم يستثن الإسلام الأسباب التى عرفها العالم مفضية إلى الرق إلاسببا واحدا ضيق فيه كل التضييق ، وأبقاه على سبيل الجواز والاختيار لا على سبيل الحتم والإلزام وذلك هو استرقاق الأسير فى حرب إسلامية شرعية لم يبدأ فيها المسلم بعدوان وذلك إذا رأى إمام المسلمين وأهل الحل والعقد من أهل مشورته فى ذلك مصلحة للأمة ثم ندب بعد ذلك إلى فكهم بمقابل أو بدون مقابل : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ (٢) .

وبذلك يكون الإسلام قد قضى على نظام الرق بكل صوره وأشكاله فجفف المنابع ، وسد المنافذ ، ودعا الى التخلص منه حسبة لله تعالى ؛ لتحقيق المساواة بين العباد .وعند العتق يصبح للعتيق ما للسيد على ما قدره الإسلام

---

(١) سورة يوسف . الآيات ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) سورة محمد من الآية ٤ .

وقد أعتق سيدنا أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - سيدنا بلالا - رضى الله عنه فقال سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - :أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا .

قال - صلى الله عليه وآله وسلم - « **ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح الذى يريد العفاف ، والمكاتب الذى يريد الأداء ، والمجاهد فى سبيل الله تعالى** »[1].

وعنه - صلى الله عليه وآله وسلم -

« **التائب من الذنب كمن لاذنب له** ».

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، خالق الإنسان من الطين ، وصلى الله على سيدنا محمد القائل « **كلكم لآدم وآدم من تراب** »[2].

يا عباد الله: كونوا عباد الله إخوانا فى معاشكم ومعاملاتكم ، لباسكم التقوى ، وزادكم التقوى ، واشكروا الله على النعم والبلوى ، واستعينوا بالصبر فإنه مفتاح النجاة يوم يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب .

وصلوا على نبيكم الخليل كما أمركم الجليل .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

(٢) رواه الترمذى والنسائى وغيرهما عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

وباركت على سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

اللهم نسألك عز الإسلام والمسلمين ، وأن تعلى بفضلك كلمة الحق والدين ، وأن تؤيد بنصرك وتوفيقك عبادك المخلصين لما تحبه وترضاه . اللهم ارحمنا رحمة تقربنا من جوارك ، وتجعلنا من المقبولين السعداء يا أرحم الراحمين .

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى لعلكم تذكرون .

اذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمائه يزدكم ، ولذكر الله أكبر لو كنتم تعقلون .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يغفرلى ولكم ولسائر المسلمين. وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

وقال - صلى الله عليه وسلم - « **التائب من الذنب كمن لاذنب له والتائب حبيب الرحمن** » .

وقال جل وعلا « ادعونى أستجب لكم » . فإن فى يوم الجمعة ساعة الإجابة .

في ضيافة الرحمن •

الحمد لله على نعمة الإسلام وكمال الإيمان.

وأشهد ألا إله إلاالله . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأقمار الذين عرفوا الله فاتقوه حق تقاته فأورثهم الفردوس وجناته ، ذلك لمن خشى ربه وقهر نفسه ، وعمل لما بعد الموت .

أما بعد :

يا إخوة الإيمان . تعالوا بنا إلى مدرسة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فى هذا اللقاء المبارك الذى استجبنا فيه لدعوة الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

لحظات اختلسناها من دوامة الحياة ومشاغلها المتعددة المتكررة ، نجلسها فى رحاب الله وبيت من بيوت الله ، وفى ضيافة الله . فقد روى سليمان

• ألقيت بمسجد الثانوية العليا بد نقلا عام ١٩٨٥م / ١٤٠٥ هـ

(١) سورة الجمعة . الآية ٩ .

رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال :

« **من توضأ فى بيته فأحسن وضوءه ثم أتى المسجد فهو زائر لله وحق المزور أن يكرم الزائر** » [١] ..هذه اللحظات القصيرة مدة ، الغالية ثمنا ، العظيمة أثرا ، المقبولة عملا ، الجزيلة عطاء .﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [٢].

شهادة بالإيمان من الله - تعالى - لمن يعمر المساجد بوجوده فيها . وذلك مصداقا لحديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « **إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان** » .[٣] ولنذكر ختام الآية ﴿ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ فأهل المساجد من المهتدين .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم قال: « **من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح** » [٤]. ما أعظم هذه البشرى لمن كان مسعاه إلى المساجد صباح مساء !

وعن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - «**إسباغ الوضوء فى المكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة تغسل الخطايا غسلا** » [٥]

---

(١) شعب الإيمان - باب الصلوات - رواه شعبة عن أبى إسحق . (٢) سورة التوبة . الآية ١٨ .
(٣) رواه أحمد وابن ماجة وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه -
(٤) رواه أحمد والترمذى وغيرهما عن أبى هريرة - رضي الله عنه -
(٥) شعب الإيمان - باب الطهارة . عن على بن أبى طالب - رضي الله عنه -

وعند أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **للغدو والرواح إلى المسجد من الجهاد فى سبيل الله** » .

الإخوة الأحباب : وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . الميدان فسيح ، استباق ومسابقة ، ومسارعة وتنافس فى الخير ، وأسباب المغفرة ، وكل ما يؤدى إلى الجنة ونعيمها ، ويباعد عن النار وعذابها .

إخـــوة الإيمان : نصغى إلى صوت النبوة فى خشوع وجلال والرسول يحدثنا « **إن للمساجد أوتادا الملائكة جلساؤهم ، إن غابوا افتـقـدوهم ، وإن مـرضـوا عـادوهم ، وإن كـانـوا فـى حـاجـة أعـانوهم** »[1] .

وهل بعد هذه الإحاطة الكريمة من كرم ؟! وكيف غير ذلك ؟! فالرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول « **إن عمار بيوت الله هم أهل الله عز وجل** » .

إخوة الإيمان : بعد هذه السياحة المباركة فيما بارك الله فيه لأهل المساجد وزوارها وعمارها نسرح فى روضة أخرى من رياض الجنة .

إخـوة الإيمان : الدنيا سوق الآخرة ، والتجارة فيها مع الله ـ عز وجل ـ ، لندخل هذا السوق لنرى ونشاهد البضاعة والبيع والشراء ، نقف أمام هذه البـضـاعـة « ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[2] .

---

(١) رواه أحمد عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ

(٢) سورة الليل من الآية ٥ إلى ١٠ .

مقايضة لاقرش فيها ولا جنيه ولا دولار . ثلاثة بثلاثة :

أعطى ، واتقى ، وصدق

ثمنها : فسنيسره لليسرى .

بخل واستغنى وكذب : يقابلها : فسنيسره للعُسرى .

من منا لا يريد أن يشترى اليسرى والحالة كما نعلمها ؟ !

ومن منا يريد العسرى والحالة كما نعلمها ؟ !

اللهم يسر أمورنا ، ويسر أقواتنا ، واهدنا إلى اليسرى .

فالذى أعطى مما أعطاه الله ، واتقى الله فيما أعطاه الله تصديقا لوعد الله على لسان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وكان من العاملين بقول الله كانت تجارته رابحة ، وبضاعته رائجة . فسنيسره لليسرى : يجعل الله - تعالى - أمره كله يسرى وخيرا وبركة . الأموال القليلة مباركة تكفيه لأن فيها يسرى من الله ، والطعام القليل مبارك لأن فيه يسرى من الله - تعالى - وهكذا والعكس . وأمـــا من بخل بما عنده على خلق الله ، وبخل بما أعطاه الله واستغنى عن تيسير الله له وكذب بما جاء من عند الله - تعالى - عن رسول الله فتجارته خاسرة ، وبضاعته خاسرة ، وله العسرة فى عمله ومعاشه ويومه وغده ، محروم من تيسير الله ؛ لأنه استغنى عن فضل الله ، واستغنى عن تلك المقايضة الرابحة والتجارة النامية

قال شيخنا الإمام الجعفرى - رضى الله عنه - فى كتابه الإلهام النافع بعـد أن ذكـر هذه الآية الكريمة « **فـأمـا من أعطى واتقى وصـدق**

بالحسنى فسنيسره لليسرى » ومن العطاء أن تعطى نفسك لربك الذى اصطفاك لنفسه ، كما قال تعالى - ﴿ **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴾ [1] .

ومن العطاء أن تعطى نفسك لعبادة ربك الذى خلقك من أجلها ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [2] .

لأنك إذا أعطيت نفسك لله ؛ يسرك الله لليسرى . فالأعمال الصالحة للأرواح الصالحة ، وعلى هذا العطاء يترتب التيسير . قال - صلى الله عليه وآله وسلم - « **إعملوا فكل ميسر لما خلق له** » [3] .

وعنوان العبادة الكاملة ، وبرهان الطاعة التامة ؛ صلة المسلم بمواضع العبادة ، ومواطن الرحمة ؛ ألا وهى بيوت الله - عز وجل - ففيها مجالس العلم ، وحلقات الذكر التى هى رياض من رياض الجنة . كما قال - عليه الصلاة والسلام - : « **ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده** » . وكما قال - عليه الصلاة السلام - « **إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ؛ قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال حلق الذكر** » .[4] وفى رواية قيل « **وما الرتعُ؟ قال: سبحان الله ، والحمد لله ولاإله إلا الله ، والله أكبر** » . يعنى وكل ما يدور فى فلك الذكر ، فأى تيسير لليسرى أعظم من استضافة الرحمن لك فى بيته فى أعظم الطاعات ،

---

(١) سورة طه . الآية ٤١ .

(٢) سورة الذاريات. الآية ٥٦ .

(٣) رواه ابن ماجة عن أبى حميد الساعدى - رضي الله عنه -

(٤) رواه أحمد وغيره عن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه -

وأجل القربات .

ألا وان صلاة الجماعة فى المسجد ، وحضور مجالس العلم والذكر فيه لهى التى تجعل قلب المؤمن معلقا ، إذا صلى الصبح ترقب وقت الظهر ، وإذا صلى الظهر فكر فى أول العصر ، وهكذا ، وإذا حضر مجلسا تمنى مجلسا آخر من مجالس العلم والذكر، وهذا يحقق فيه التعلق الذى يجعله جديرا بظل الرحمن فى يوم تدنو فيه الشمس من العباد . قال صلى الله عليه وآله وسلم - « **سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله « أو فى عبادة ربه » ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه** »[1] . وعنه - صلى الله عليه وآله وسلم -

« **التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لاذنب له** » .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبع سنته إلى يوم الدين .

أما بعد فياعباد الله :

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

إن المؤمن فى ضيافة الرحمن - عز وجل - أعز وأشرف ؛ فإن أصحاب السلطات والمناصب من أهل الدنيا لا يسمحون بدخول أحد عليهم إلا بدعوة خاصة فكيف بمالك الملك - جل وعلا - إنه يختار لضيافته الصالحين من عباده ، والأتقياء من خلقه ، وقد أمر - سبحانه - بإكرام الضيف ؛ فكيف إذا كان العبد ضيفا عليه - تعالى - فهو كما قال فى الحديث القدسى « **فحق على المزور أن يكرم زائره** » . ولا شك أن الإكرام هنا يتناسب مع صاحب البيت - سبحانه وتعالى - ألا فلنحرص على هذه الضيافة العظيمة ، والوفادة الكريمة ، فإنها تجارتنا الرائجة ، وسوقنا الرابحة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

ألا إن فى المساجد تركة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وميراثه ، ولقد صاح أبو هريرة - رضى الله عنه - ذات مرة بعد انتقال النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى الرفيق الأعلى ؛ فى الناس وهم فى السوق : « أنتم ها هنا وميراث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقسم فى المسجد ؟ !

فهرع الناس إلى المسجد ولم يجدوا ما توهموا ، ثم عادوا إلى أبى

---

(١) سورة الصف . الآيات من ١٠ إلى ١٣ .

هريرة : ما وجدنا ميراثا يقسم .فقال : فماذا وجدتم إذن ؟ قالوا: وجدنا مجالس الذكر ، والعلم ، والقرآن . فقال : وهل ترك رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - سوى ذلك ؟ وصدق رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إذ يقول : « **والعلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم ؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافر** »[1].

والمساجد مكان العلم ، ومكان الحظ الوافر .

اللهم عافنا واعف عنا ، وعلى طاعتك أعنا.

(١) رواه أبو داود وابن ماجة عن أبى الدرداء .

رسالة المسجد •

الحمد لله الذى أذن برفع المساجد وأن يذكر فيها اسمه ، وأشاد بشأن عمارها وروادها .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له جعل بيوته فى الأرض هى المساجد وزواره فيها عمارها .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الداعى إلى السداد ، والهادى إلى الرشاد .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله والتابعين . الذين بنوا المساجد بأيديهم وعمروها بقيامهم فهم المفلحون الذين صدقوا الله ما عاهدوا عليه

أما بعـــد .

فيا أيها الإخوة المؤمنون : إن أرض الله واسعة ، وإن من أعز البقاع وأشرف الأماكن البقعة التى يلتقى فيها المسلمون طاهرى الجسد والثياب ، نظيفى القلوب والعقائد ، فيتجهون إلى عبادة الله الواحد الأحد الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ، يقصدون هذه البيوت ليصلوا قلوبهم بخالقهم ، ويرطبوا ألسنتهم بدعاء من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

• ألقيت بمسجد سيدى عبد المتعال بد نقلا .

هذه البيوت ليست بيوتا للبشر وليست ملكا لإنسان ، إنما هى بيوت الله :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

ومن أزمان بعيدة بنيت بيوت لله فى الأرض ، وأول بيت أقيم على الأرض هو البيت الحرام الذى أمر ببنائه الجليل - تعالى - ورسم محله جبرائيل وبناه الخليل وساعده إسماعيل .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (٢) .

فلما هاجر الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - من مكة إلى المدينة مر بقباء ، ومكث بها أياما معدودات ، وأشار على أصحابه أن يبنوا مسجدا ليكون مركز النور فى هذه البقعة .

قال تعالى : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النور . الآيات من ٣٦ إلى ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران . الآية ٩٧ .

(٣) سورة التوبة . الآية ١٠٨ .

وحينما وصل إلى المدينة كان أول ما فعل أن خطط المسجد النبوى واستحث الهمم على إتمامه ، وكان يعمل فيه بيده ، وكان يستطيع أن يطلب من أصحابه الذين يفتدونه بأرواحهم أن يقوموا ببنائه ، ولكن أراد أن يبين فضل اليد التى تسهم فى بناء بيت من بيوت الله ، وأنها يد يحبها الله ويحبها رسول الله . فلقد كان صلوات الله وسلامه عليه ينقل بيده الشريفة مواد البناء ويختلط التراب بعرقه الذى يسيل على وجهه ، ويرى الصحابة ذلك فينشطون للعمل وتتلاقى الأيدى العاملة ، أيدى محمد وأصحابه ، وينظر إلى هذه الجماعة الدائبة النشيطة فتنفرج أسارير وجهه ابتهاجا بهذا الجهد الدائب ، ويدعو لأصحابه بقوله : « **اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة** » . وهم ينظرون إلى الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو العامل المجد الذى يحمل أكثر مما يحملون . وكان الرسول قدوتهم وأسوتهم فى جميع أفعاله .

فهذا شاعرهم يقول يوم الخندق :

لئن قعدنا والرسول يعمل فذاك منا العمل المضلل

فهذا نشيد كان يتغنى به العاملون ، ويزيد حماستهم رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو يعمل بجهد نفسه كأحدهم ، ويكره أن يتميز عليهم .

ولنستمع إلى نشيد عبد الله بن رواحة - ﷺ - نشيد العمل لا نشيد الكسل ، نشيد الغاية الكبرى :

والله لولا الله ما اهتدينا ولاتصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

تلك لمحة من مسيرة الرسول والصحابة فى العمل المخلص لله .

وإن المسجد الذى بنى فى المدينة من الطوب ، والتراب وسقف من عروق النخل قد ربى فرسان البشر هازمى الجبابرة ، وقاهرى الأكاسرة والقياصرة ، لقد أخرج هذا البناء المتواضع أئمة المفسرين ، وأجلاء رواة الحديث ، وأصحاب الفقه والعلوم، وأخرج عمالقة هزوا الدنيا ببطولاتهم وشجاعتهم .

ولقد كان المسجد فى عهد رسول الله وعهد صحابته الأكرمين مدرسة للتعليم والتثقيف حيث كان المسلمون يجتمعون حلقات ، ويستمعون من أئمتهم ألوانا مختلفة من العلوم والثقافات .

وكان مجلسا للقضاء يفصل فيه الإمام بين المتخاصمين ويحكم بينهم بما أنزل الله .

وكان مركزا للقيادة العامة لقوات جيوش المسلمين ، وكانت توضع فيه الخطط الحربية ، ويتم اختيار القادة وتسلم الراية للقائد ، ويخرج منه الجيش للجهاد ؛ يخرج من ساحة المسجد إلى ساحة القتال ؛ فإما النصر والغلبة، وإما الاستشهاد والجنة ؛ وإن الجنة تحت ظلال السيوف ، وكانت تقسم فيه الغنائم .

وكان المسجد برلمان الأمة يلقى فيه الخليفة خطاب أول عهده بالحكم يحدد المبادئ التى سيسير عليها والأهداف التى يريد تحقيقها .

وكان مجلس شورى يجتمع فيه أهل الحل والعقد ينظرون فيه شئون المسلمين ، ويتدارسون أحوالهم ، ويقررون ما هو خيرلهم .

وهكذا كان المسجد فى صدر الإسلام الأول دنيا ودينا ، وعبادة وعملا ، وقرآنا وسيفا ، ومازال المسجد يؤدى رسالته فى المجتمع الإسلامى إلى يومنا هذا مهما تعددت المدارس والمعاهد والجامعات ودور القضاء وثكنات الجيوش ، فالتعبئة الروحية هى الوقود ومصدرها المسجد ، فالمسجد لا يزال محل التعبئة الروحية ، فليس المسجد معزولا عن المجتمع الإسلامى ، ولا ينبغى أن تكون علاقة المسلم به علاقة ساعة أو بعضها يقضيها كل يوم فى صلاة أو اعتكاف ، بل إن المسجد له رسالة يجب أن نحافظ عليها ونرعاها ، إنه مركز لقيادة المجتمع الإسلامى، حيث يناقشون شئون الدين والدنيا والعمران والإصلاح ؛ فرسالته أوسع من رسالته الأولى فهو مركز الدعوة إلى التجمع الإسلامى محل التجمع الدستورى.

والأمة تستعد فى الأيام المقبلة لوضع دستورها وأنتم الذين ستحكمون بهذا الدستور فأى حكم تريدون ؟

أيها المسلمون :

الحمد لله والشكر لله ، والله أكبر ، والله أكبر ، ولاإله إلا الله وله الحمد . ها نحن اليوم نرفع أكف الشكر ، والحمد لله المولى القدير الذى هيأ لنا الظروف التى ساعدتنا فى بناء هذا المسجد الذى إن دل على شئ فإنما يدل على الغيرة الإسلامية والروح العالية التى جعلتنا نتعاون من أجل بناء بيت لله نقيم فيه شعائر الله .

وها نحن نفتتح هذا المسجد باسم الله وباسم الإسلام باسم الدعوة الجادة إلى كتاب الله نحكمه فينا .

بيوت الله منارات للعلم

الحمد لله . بمعونته نستمد ، وعلى قوته نعتمد ، ينصر من لدينه نصر، ويخذل من لدينه خذل ، ويوفق من بعمله اشتغل ، ويضل من تعرض للفوضى والكسل . أحمده جعل التعليم أصل الحضارة والتقدم ، وأساس السعادة والتنعم ، وهو السبيل إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ فرض العلم وجعل به الإنسان ، وفضله على سائر الحيوان ، فجعله يدرك الحق فيتبعه، ويعرف الباطل فيجتنبه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً رسول الله وحبيبه ومصطفاه ؛ قرأ باسم ربه الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، قرأ باسم ربه الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، فكان مصباح الهداية وعلم العدالة، ورسول السلام وصمام الأمان .

وهو الحبيب الأعظم والشفيع الأكرم ، صلى الله عليه وآله العلماء وصحابته الفقهاء الذين طلبوا العلم من المهد إلى اللحد ، فكانوا أسعد الناس حظاً ، وأوفرهم علماً وأرجحهم عقلاً ، وأحسنهم فعلاً ، تقربوا إلى الله - تعالى - بعلمهم فكانوا هم السعداء ، واستخدموا العلم فى العمل فبلغوا جليل الأمل ، فكانوا السادة والقادة الأبرار الذين بلغوا أعلى قمم المجد سمواً ، وأرقى درجات الحضارة تقدماً .

عليهم رضوان الله وعلى من سلك نهجهم واسترشد بهديهم ، أولئك الذين أراد الله لهم الهداية ؛ فكانوا هداة مهتدين .

أما بعد فيا أيها المسلمون :

يسعدنى الحظ بأن أتحدث إليكم فى هذه اللحظة الطيبة وفى بيت من بيوت الله التى هى منارات للعلم وقلاع للمعرفة ؛ بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، تجتمع فيها على حبه وإجلاله قلوب خالصة لوجهه الكريم، ونفوس طاهرة من خطايا الدنيا وآثامها ؛ إنه يوم الجمعة الذى نجتمع فيه اجتماع الأخوة الصادقة ، والمودة الإسلامية السامية بروح التعاون والتآلف والمحبة ، يجتمع المسلمون هذا الاجتماع فى مشارق الأرض ومغاربها منذ أن شرع يوم الجمعة إلى قيام الساعة ؛ ففى هذا اليوم وفى هذه الساعة هناك مسلمون مثلكم يجتمعون اجتماعكم هذا تظلهم ملائكة الرحمة بأجنحتها ويحفهم الله برحمته ، ويغشاهم بسكينته ويعمهم بروح من عنده .

فى هذا اليوم . فى بيت الله الحرام جمعة ، وفى الروضة الشريفة فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جمعة ، هناك مسلمون مثلكم يؤدون حق هذه النعمة لمشرعها ـ سبحانه ـ ، ويشكرون الرسول الذى جاء بها ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيجتمعون هذا الاجتماع الذى يباركه الله ـ تعالى ـ فى كل بقعة من بقاع الأرض ، وفى هذا اليوم ساعة لا تقدر بثمن ؛ إنها ساعة الإجابة التى ما سأل سائل فيها ربه إلا أجاب دعوته .

أيها المسلم الكريم :

إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من قِبل الحق ـ جل جلاله ـ : أين

المتحابون فىَ لأظلهم بجلالى وظلى يوم لاظل إلا ظلى .

ويروى ابن أبى الدنيا فى كتاب السيرة بسنده أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول : إذا كان يوم القيامة ودخل أهل الجنة ، واشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض ؛ سار سرير هذا إلى سرير هذا ، ويتحدث بعضهم إلى بعض فيقول : أتذكر متى غفر الله لنا ؟ فيقول أخوه : يوم كذا يوم دعونا فغفر لنا ، فمن يدرى فقد تكون ساعتنا هذه يوم القيامة لها هذا الشأن ، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا من أهل القبول .

لو سأل كل واحد منا نفسه : لماذا جاء إلى هنا ؟ لوجد الله ـ عز وجل ـ هو الذى دعاه لهذه الضيافة العظيمة فلبى دعوة ربه واستجاب لضيافة خالقه . من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله .

عباد الرحمن :

لم نجلس هنا فى هذا المكان لتجارة مادية أو أغراض شخصية ، وإنما هاجرنا لله ، واجتمعنا فى سبيل نيل رضاه ؛ نحمل رسالة العلم والنور التى هبط بها رسول الوحى سيدنا جبريل ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ وهو يتعبد فى غار حراء فى جبال مكة المكرمة الليالى ذوات العدد ، وأمره بأمر ربه الأعلى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] .

فكانت هذه الآيات الكريمة هى أول الأوامر الإلهية ، ومستهل الوصايا الربانية ، ومفتاح الرسالة المحمدية ، إنها آيات العلم والمعرفة لنبى

---

(١) سورة العلق ، الآيات من ١ إلى ٥

الهداية والنور صلى الله عليه وآله وسلم .

أيها الأخوة المسلمون :

إن العلم للناس كالماء للنبات ، وإن أرضاً لا تتعهد نباتها بالسقى والعناية لا تحصد منها إلا الحسرة والندامة ، وإن قلباً لا يسقى بمياه العلم لا يمكن أن يكون موطناً للطهارة ولا مغرساً للأخلاق الفاضلة والخلال النبيلة ، وإن روحاً لا تسعد بالعلوم والمعارف لا تكون أهلاً للتزكية والسعادة ، وإن عقلاً لا يصقل بالعلم والفكر لا يستحق خلافة الأرض، فالعلم طب النفوس وحياتها وعزها وعلوها ، ومن لا علم عنده فلا خير فيه ، فبالعلم النافع كمال الإنسان ، وعلوه على سائر الأقران ، وبالعلم وحده ساد من ساد على سائر الأنداد ، بالعلم ارتفع من ارتفع ، وبالجهل خربت بيوت وضاعت أموال .

العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال

ويكفى العلم شرفاً أن طلبه فرض على كل مسلم ومسلمة ؛ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « طلب العم فريضة على كل مسلم »

أى ذكراً كان أو أنثى ، ونحن معاشر الإخوان قد حرمنا من التعليم فى الوقت الذى فرضت فيه الأمم الحرة فى فترة من الفترات عقوبة السجن على الوالد الذى يهمل فى تعليم ولده ، ويتغافل عن إرسال ولده إلى المدرسة ليتلقى العلم الذى به يصير رجلاً ذا شأن فى حياة الأمة ، والإسلام الحنيف قد سبق كل أنظمة الدنيا والقوانين الوضعية فى الدعوة إلى العلم والحث عليه ؛ بل جعله فريضة عينية كما علمنا ، وجعل ترك العلم سبب الهلاك والإهلاك .

قال الرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك .

فاتقوا الله ، واطلبوا العلم ، واحرصوا على حضور مجالسه فى المساجد وغيرها حتى تكونوا من الفائزين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولسائر المسلمين .

رمضان شهر القرآن

الحمد لله نزل القرآن مائدة للمسلمين فى الأرض ، ونوره يهدى إلى الرشد ، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وأشهد ألا إله إلا الله القائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله العابد القانت القارئ كتاب الله الذى قام الليل إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الذين تجافت جنوبهم عن المضاجع وهم يتلون القرآن ، رهبان الليل وفرسان النهار ، فقد كانوا هم الزاهدونا العابدونا

إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العليلة حبا

فانقضى ليلهم وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة الله حتى

حسب الناس أن فيهم جنونا

رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٩ .

يا جماعة المسلمين :

إننا فى شهر رمضان ، وإن كان لرمضان أن يفخر فليفخر بأنه شهر القرآن ، بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (١) .

لما كان هذا الشهر شهر القرآن كانت أيامه أيام القرآن ؛ فالقرآن له وهو صاحبه ، وهو قرينه ، تدور الأيام والأعوام ونقف اليوم لنحسب الحساب ونعدد الأعداد لنعلم شيئا جليلا جديرا بالاهتمام والتقدير .

قفى يا ساعة الزمن لحظة ، وقفى أيتها الشمس المتحركة لحظة ، وتنبه أيها الإنسان من غفلتك لتسمع ، ولتسمع الدنيا بأسرها :

إن الأمة الإسلامية احتفلت أمس بمرور:

١٤ قرن على نـــزول القـــــرآن .

١٤٠٠ سنة مرت على نزول القرآن .

١٦٨٠٠ شهر مر على نزول القرآن.

٥٠٤٠٠٠ يوم مر على نزول القرآن .

والقرآن هو القرآن ؛ لا تغيير ولا تحريف ، ولا تبديل ولا تصحيف ، ولا زيادة ولا نقصان ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾

---

(١) سورة القدر ، الآيات من ١ إلى ٥ .

وجل من قائل : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١).

احتفل العالم الإسلامى أمس بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم وهو غض طرى لم ينل منه الزمن ، ولايؤثر فيه الدهر لأنه لايخلق على كثرة الرد .

احتفل العالم الإسلامى أمس ؛ وإنها لذكرى طيبة وما أطيبها فى رمضان شهر القرآن ، ولنقف لحظات لنتدارس جميعا تبسيط دراسات حول القرآن :

نزولـــه :

أولا : أول نزول القرآن الكريم هو تجلى الحق - تبارك وتعالى - به على اللوح المحفوظ ؛ لينقش فيه ما أراد الله - تعالى - وهو الذكر .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٢).

ثم بقاؤه فى اللوح المحفوظ . قال تعالى :﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (٣).

ثانيا : نزوله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى سماء الدنيا على أيدى الملائكة الكرام . قال تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ (٤).

---

(١) سورة فصلت الآيتان من ٤١ ، ٤٢

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٥ .

(٣) سورة البروج ، الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

(٤) سورة عبس ، الآيات من ١٣ إلى ١٦

ثالثا : نزوله من بيت العزة منجما ومقسما ومفرقا على يد جبريل أمين الوحى - عليه السلام - على قلب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (١).

وقد اختار الله تعالى لكلامه المكان والزمان والإنسان ، أما المكان فقد ابتدأ نزوله فى مكة المكرمة :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾(٢).

وأما الزمان فهو شهر رمضان المعظم :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (٣).

وأما الإنسان فهو المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - :

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (٤).

وقد كان القرآن الكريم كتاب هداية ، ونبراس عناية ، إنه دستور الأمة ، ومعجزتها الخالدة التى تبقى على مر العصور والدهور .

---

(١) سورة الشعراء ، الآيات من ١٩٢ إلى ١٩٥ .
(٢) سورة الشورى ، الآية ٧ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ .
(٤) سورة الشعراء ، الآيات من ١٩٣ إلى ١٩٥ .

وقد أمر الله ـ تعالى ـ بتلاوته ، وجعلها دليلا على كمال الإيمان :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ (١) .

وأمر بتدبر آياته :

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢)

وأمر سبحانه بحسن الاستماع والإصغاء إليه ، وجعل ذلك سببا فى نزول الرحمات : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٣) .

وقد أخرج البخارى فى صحيحه عن سيدنا عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم : « **إقرأ على القرآن ، قال : قلت أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل ؟ قال : نعم أحب أن أسمعه من غيرى . قال : فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا بلغت قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾** (٤) .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ « حسبك » .

فنظرت . فإذا عيناه تذرفان بالدموع »(٥) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .

(٢) سورة ص ، الآية ٢٩ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٤ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٤١ .

(٥) رواه البخارى وغيره عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ .

وقد توعد الله من لم يقرأ القرآن بشكوى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ منه يوم القيامة ، حين قص ـ سبحانه ـ مشهدا من مشاهدها في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ (١) .

أما السعداء فإنهم لا يتركونه لحظة فهم أهله وهو أهلهم ؛ بل هم أهل الله تشريفا وتعظيما بسبب القرآن وبركته ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **إن لله أهلين من الناس . قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته** » والقرآن روح الدين ، وسر اليقين :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

لهذا . لو نزل هذا القرآن على الجبال لخشعت لأمر الله ـ تعالى ـ فأين قلوب القساة من هذا .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

وبعد كل فالقرآن حجة الله ـ تعالى ـ لخلقه أوعليهم . قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **القرآن حجة لك أو عليك** » . فلا بد من العمل به

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٣٠ .
(٢) سورة الشورى ، الاية ٥٢
(٣) سورة الحشر ، الآية ٢١ .

وتحكيمه فى كل شئ :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١).

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢).

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣).

يقول - صلى الله عليه وآله وسلم -

« **التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** » .

الخطبة الثانية

أيها المسلمـــون :

فى ذكرى الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن يطيب لنا أن نقول :

الله أكـبر إن ديـــن محمـــد وكتابه أقوى وأقوم قيـــلا .

لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلع النهار فأطفئوا القنديلا .

يقول نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - :

« **إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا مأدبته ما استطعتم ،**

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٧ .

إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لايزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، أتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ؛ أما إنى لا أقول : ألم حرف ؛ ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[1] . وفى الحديث : « **يقال لصاحب القرآن : إقرأ و رتل كما كنت ترتل فى الدنيا ؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** »[2] .

أيها المسلمون :

ألا ما ألصق القرآن برمضان ، وما أقوى الصلة بينهما ، كلاهما عبادة عالية ، وقربة راقية ، ألا وإن لكل واحد منهما شفاعة مقبولة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ؛ يقول الصيام : رب منعته الطعام والشراب بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : يارب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه . قال : فيشفعان** »[3] .

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، وذهاب همنا وغمنا ، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يرضيك عنا يارب العالمين .

اللهم عافنا واعف عنا .

---

(١) رواه الحاكم فى مستدركه عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -

(٢) رواه أبو داود والترمذى وغيرهما عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -

(٣) رواه الإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -

رمضان شهر الجهاد

الحمد لله ينصر من لدينه نصر .

وأشهد ألا إله إلا الله . جعل النصر حليف الإيمان والإذعان .

وأشهد أن سيدنا محمدا النبى الأمى المجاهد المفارق لأهله وعشيرته لإعلاء كلمة الله ، المجاهد بماله ونفسه ابتغاء مرضاة الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته الذين جاهدوا المشركين واليهود ، وخاضوا المعارك بقوة الإيمان فكانوا على موعد مع النصر .

يا أيها المسلم الكريم : أنتم فى شهر الجهاد ، وما تميز شهر من الشهوربهذا الاسم غير هذا الشهر ، شهر رمضان شهر الجهاد الأكبر ، وشهر الجهاد الأصغر . فمعالم الجهاد الأكبرفيه ظاهرة ، وهى جهاد النفس وكبت شهوتها وحرمان رغبتها .

فالصوم في معناه هو : الامتناع عن الطعام والشراب وعن المفطرات المحظورة من شهوتى البطن والفرج وهذه أقصى مشتهيات النفس ، فالصوم لجامها وإلزامها .

طريق الجهاد الأكبر طريق الله .

يقول الإمام البصيرى - رحمه الله - :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فهى غريزة النفس الطفيلية ميولها لملذات الحياة ، وهى تنقاد بزمام العقل ؛ فمن أحكم زمام نفسه فى يده قادها إلى مايريد ، ومن أرخى لها زمامها قادته إلى ما تريد ، والنفس أمارة بالسوء ، فإحكام زمام النفس يصونها ويزكيها عن الملذات الشهوانية ، والمتطلبات الشيطانية .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (١) .

فالذى يزكى نفسه ويطهرها من الطمع والجشع وفضول الحديث والشهوة ذلك هو الذى أفلح ، والذى دس نفسه أى غمسها فى ملذاتها وشهواتها ومتطلباتها ، وحرمها من نور الله تبلدت عن الوجدانية بما فيها من معانى الرحمة والمودة والأخوة والمواساة فصارت نكرةً منطوية على نفسها .

يقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (٢) .

فأما من أعطي : والعطاء هنا أبواب كثيرة ولنأخذ منها ما نحتاج إليه ، أعطى نفسه حظها من الإيمان . واتقى : جعل بينها وبين ما يغضب الله وقاية وحجابا وعمل بما أمر ، وانتهى عما نهى ، فذلك جزاؤه : فسنيسره لليسرى : يجعل الله العمل له ميسورا فى الدنيا ولا يشعر بالمشقة ، ولا تقعده الحاجة ، ولا تشغله الفاقة لأنه على يسرى من الله ، وأما من بخل : على نفسه فى رحاب ربه ، واستغنى : عن جنابه وظله ، وكذب : بما أنزل وجحد بما أمر ،

---

(١) سورة الشمس ، الآيتان ٩،١٠ .

(٢) سورة الليل . الآيات من ٥ إلى ١٠ .

فسنيسره للعسرى : تقفل أمامه أبواب التسهيلات والنعم والخيرات .

هذه صورة من صور القرآن ، صورها الحق تبارك وتعالى للمشاهدة القلبية ، والمشاهدة الذاتية ؛ ليدرك الإنسان معانى غايات الحياة والطريق إليه ؛ هل هو مظلم أم هو فيه أضواء لامعة ؟ والتعرف على أهله : هل هو غريب ؟ كلا .

جاء فى الأثر ما معناه : إن لله أهلين فى الأرض ، هم أهل القرآن . فأهل القرآن هم أهل الله فى أرضه .

وأهل القـــرآن بمعنـي : أهله الذين لا يفارقونه تلاوة واستماعا ودراسة ووعيا وعملا ، وحصاد ذلك حب الله ، ومن أحبه الله تميز بثلاث صفات : سخاء كسخاء البحر ، وإحسان كإحسان الشمس ، وتواضع كتواضع الأرض .

ورمضان شهر القرآن دستور الحياة ، وحكمة الله فى الأرض ؛ تجلّى فى هذا الشهر رسول الوحى على نبى الإسلام : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾[1] . وهذا تكريم للعلم الذى مجده القرآن فى ٦٠ آية ، فشهر رمضان ربيع القرآن ، والحديث عن القرآن كثير .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[2] .

---

(١) سورة العلق ، الآيات من ١ إلى ٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ .

هدى للناس ، وبينات من الهدى ، والفرقان .

هداية ، وبينات فى هده الهداية .

والفرقان : يفرق بالوضوح بين الحق والباطل .

والجهاد الأصغر هو جهاد العدو فى ميدان المعركة ، ومنه غزوة بدر الكبرى التى وقعت فى ١٧ رمضان فى السنة الثانية ، وكانت يوم الجمعة ، وقد كانت فارقا وفاصلا بين الحق والباطل لما أنزله الله تعالى من جنود غيبه وملائكة قربه ، وإلقاء رعبه فى قلوب الأعداء ؛ حقا لقد كانت درسا عمليا يتعلم منه الصحابة ؛ بل المسلمون فى كل زمان ومكان أن النصر من عند الله العزيز الحكيم ، فقد دارت رحى المعركة وليس هناك تكافؤ لا فى العدد ولا فى العدة بين المسلمين والمشركين ، لكن أسباب النصر كلها كانت متوفرة ؛ حيث إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يقدم على هذه المعركة إلا بعد أن أذن له فيها كما قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾ [١] . ورغم أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خاضها بوحى من الله ـ تعالى ـ متوكلا على خالقه وناصره إلا أنه علم الأمة درسا عظيما فى إحكام الأخذ بالأسباب ، والاستعداد الكامل حسب الطاقة المتاحة ؛ فقد استشار ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أصحابه ، ووحد صفهم وجمع كلمتهم قبل دخول

---

(١) سورة الحج ، الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

المعركة ، فعلم صدق الجميع فى حب ملاقاة العدو وتمنى النصر لتكون كلمة الله هى العليا ؛ فقال المهاجرون على لسان المقداد بن عمرو بن الأسود : « **يا رسول الله . إمض لما أمرك الله فنحن معك ، والله ما نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ؛ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - يعنى موضعا بالحبشة - لجالدنامعك من دونه حتى تبلغه** » [1] .

ثم قال الأنصار على لسان سعد بن معاذ : « **يارسول الله . صل من شئت ، واقطع من شئت ، وسالم من شئت ،وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا أحب إلينا مما تركنا ، وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك ، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى عدونا ؛ إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله أن يريك منا ما تقربه عينك ، فسر بنا على بركة الله** » .

وفى رواية أخرى قال سعد :

« **قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت** » .

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

وبهذه القمة الموفقة ، وهذا المؤتمر المثمر اجتمعت كلمة المسلمين ، وتوحد صفهم ، وقويت شوكتهم ، وهابهم عدوهم ، فتهلل عندئذ وجه وسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فرحا واستبشارا ، وقال :

« أبشروا . والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم »

وهذا درس بليغ يجب أن يفهمه المسلمون فى كل زمان ومكان بمجرد توحيد الصف واجتماع الكلمة تجسدت لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مظاهر النصر ومهالك العدو .

نعم . أليس الله - عز وجل - هو القائل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) .

فى هذه الغزوة استمع - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى نصيحة الناصح حين قال : « يارسول الله : هل هذا المنزل منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم أو نتأخرعنه ؛ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

فقال - صلى الله عليه وسلم - فى تواضع العظماء وحكمة الحكماء : بل هو الرأى والحرب والمكيدة .

فقال الرجل : إذن . ليس هذا بمنزل يا رسول الله . فانزل بنا عند أدنى ماء من القوم ؛ حتى نبنى عليه حوضا ،

---

(١) سورة الأنفال ، الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

فنشرب ونسقى ونمنعهم من الماء ، فاحترم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رأيه لأنه فى الصالح العام وقال له : لقد أشرت بالرأى يا حباب » .

وهكذا ، كانت غزوة بدر الكبرى كلها دروسا وعبرا ينبغى الإفادة منها على مر التاريخ ، وفى مختلف العصور والدهور .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

« والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل محتسبا صابرا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال :

« التائب حبيب الرحمن . التائب من الذنب كمن لاذنب له » .

الخطبة الثانية

أيها الإخوة المسلمون :

لقد ابتهل - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **إلى ربه فى غزوة بدر وسأله النصر ، وألح فى السؤال : اللهم هذه قريش قد خرجت بقضها وقضيضها تحادك وتجادل نبيك ، وتريد أن تقضى على هذه العصابة المؤمنة ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم** » .

ثم وقف يحرض المؤمنين على القتال كما أمره ربه - تعالى ، وكان من بين ما قال : « **وإن الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم** » .

وأخذ حفنة من التراب ، وقذف بها فى وجوه المشركين قائلا :

« **شاهت الوجود، اللهم ارعب قلوبهم ، وزلزل أقدامهم** »

فاستجاب الله - تعالى - له ولجنوده الإسلام حين أخلصوا النية لله . وبذلوا ما فى وسعهم ، وتركوا كل شئ فى سبيل الله . فقال الله - سبحانه وتعالى - يمتن عليهم :

« **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا** » [1] .

بل إنه - عز وجل - أنزل الملائكة تشارك فى نصرة الحق .

---

(١) سورة الأنفال ، الاية ١٧ .

كما قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةَ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (١) .

وقال سبحانه :

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) ﴾ (٢) .

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، وأعل بفضلك كلمتى الحق والدين ، وشتت شمل اليهود والمشركين والصهاينة والصليبيين والمنافقين .

يا رب العالمين

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ١٢ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيات من ١٢٤ إلى ١٢٦ .

مدرسة الصيام

الحمد لله بكرة وأصيلا حمدا يستوجب رضاه ، والشكر له سبحانه شكرا يوافى نعمه ويستجلب المزيد من فضله وهداه .

وأشهد أن لا إله إلاالله وحده لاشريك له ، هدانا للإسلام والإيمان ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ؛ ووفقنا لأداء فريضة الصيام والقيام وذلك من أعظم نعم الله ، فالحمد لك يارب ، والشكر لك يارب على ما أنعمت وأسديت ؛ وفقتنا فصمنا ، وهديتنا فقمنا ، ورزقتنا فتصدقنا ، شرعت ووفقت ، وهديت وألهمت ، وقدرت ويسرت .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبدك ورسولك وصفيك وخليلك ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والمنة الكبرى من الله .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

صلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار وعلى آله الأطهار ، وصحبه الأخيار وتابعيهم الأبرار الذين هم أهل التقوى والاستقامة والاعتبار .

---

(١) سورة آل عمران . الآية ١٦٤ .

أما بعد فيا عباد الرحمن :

لقد أكرمنا الله جميعا بالانتساب إلى مدرسة الصوم شهرا كاملا عشناه فى أسعد حال وأعظم وقت ، صمنا نهاره وقمنا ليله ، وتصدقنا فى ختامه على أهل الصدقة من الفقراء والأيتام والمساكين ، حقا لقد عشنا أياما على مستوى راق من الطهر والنقاء ، والعبادة والصفاء ، والصدق والوفاء ؛ لقد كنا - بصيامنا - فى مصاف الملائكة الكرام على منهج التقوى ، وتلك هى الغاية القصوى من الصوم فى الإسلام ؛ فكم سمعنا فى أيام صومنا إلى آية الصوم وكان ختامها قوله تعالى « لعلكم تتقون » . فالتقوى - وفقنى الله وإياكم لها - هى ثمرة الصوم ، وحتى تكتمل صورة الصوم منهاجا وعملا فى حياتنا عاينا أن نتمسك بهدى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والا قتداء بسنته .

عباد الله :

أرأيتم لو كان لكل منكم مال موروث فيه ثروة طائلة ، مال وفير ورثتموه بحق وعدل ، أليس من الحق والعدل أن تحافظوا عليه ؛ بل وتعملوا على تنميته وزيادته فضلا عن حمايته وصيانته ؟! أليس من العدل أن تحافظوا على هذا المال من الضياع والتبديد ليكون فى أيديكم أمانا لكم من الفقر والفاقة ؛ ليكون درعا حصينة يقيكم الذل والحاجة ، ويعينكم على نوائب الدهر وتقلب الأيام ؟! ذلك الذى شرعه الله لكل ورثة أن تحافظ على ميراثها لحكمة شرع فيها حق الميراث .

وإذا كانت الورثة من السفهاء والحمقى بددوا نعمة الله عليهم وأساءوا عطيته لهم ، ولم يوفوا للنعمة قدرها وحقها ؛ فعاثوا فيها تفريطا وتبديدا ،

وبعثروها يمينا وشمالا، فذهبت التركة التى أنعم الله - تعالى - بها عليهم فأصبح أهلها فى فاقة وعسر بعد أن كانوا فى غنى ويسر فأصبحوا معوزين فقراء أشقياء تعساء .

أيها المسلمون :

إذا كان هذا فى الثروات المالية والتركات المادية التى حالها إلى الزوال ، ونهايتها إلى الفناء والاضمحلال ؛ فما بالكم بمن لم يحافظوا على أعظم إرث وأكرم تركة !.

إن صاحب الثروة العظيمة والتركة الباقية هو سيدنا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن هذه الثروة هى ما بلغ من رسالة وما ترك من شرع، وما أبان من هدى ونور، وإن ورثته الحقيقيين المطالبين بحفظ هذه التركة هم المسلمون جميعا على تعاقب أجيالهم واختلاف أوطانهم وأزمانهم .
يروى أن أبا هريرة - رضى الله عنه - دخل سوق المدينة بعد انتقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى الرفيق الأعلى بأيام فوجد الناس فى السوق مشغولين بالبيع والشراء والأخذ والعطاء ، فصاح فيهم بأعلى صوته :

أيها الناس : أنتم هاهنا وميراث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقسم فى المسجد ؟ !

فهجر الناس السوق وهرعوا إلى المسجد ظانين أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ترك كنزا من الذهب والفضة ، ولكل مسلم فيه حق معلوم ، ولكنهم حين دخلوا المسجد لم يجدوا ذهبا ولافضة ، ولكنهم وجدوا أحد أصحاب رسول الله - صلى الله على وآله وسلم - وأمامه حلقة من الناس يدرسهم

السنة المطهرة ، ويشرح لهم معانى الكتاب الكريم .

فقالوا : يا أبا هريرة : أين الميراث ؟ !

قال : هذا هو ميراث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أجل ؛ هذا هو ميراث رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وهل ترك - صلى الله عليه وآله وسلم - ميراثا سوى ذلك ؛ إنه لم يورث أهل بيته شيئا من عرض الدنيا ، فكيف يترك للمسلمين ذهبا أوفضة ؟ كيف يترك لهم دينارا أودرهما ؟ إنه لم يترك لأقاربه شيئا يرثونه فيه ؛ فقد قال - صلى الله عليه وآله وسلم -

« **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة** » [1] .

بيد أنه أورث المسلمين كنزا ذاخرا بالفضائل والآداب من معدن السنة والكتاب ، ترك آدابا رفيعة ومثلا عليا ، ورث أمته أصدق سنة وخير هدى ، ورثهم كتاب الله الذى أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ورثهم سنته المطهرة التى ما نطق فيها عن الهوى ؛ إن هو إلاوحى يوحى علمه شديد القوى.

والمسلمون هم حملة هذه الأمانة وأصحاب هذا الميراث ، وهم حماته ورعاته ، وهم مسئولون عنه حفظوا أم ضيعوا ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « **...والعلماء ورثة الأنبياء ،والأنبياءلم يورثوا دينارا ولادرهما إنما ورثوا العلم ؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافر** » [2] .

---

(١) رواه الشيخان عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -

(٢) رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما عن أبى الدرداء - رضي الله عنه -

وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال :

« **التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** » .

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وعلى آله وصحبه ومن تبع سنته إلى يوم الدين .

أما بعد فيا عباد الله :

لقد كثرت فى شهر رمضان المعظم الدروس الدينية والحلقات التعليمية ؛ عشنا خلالها فى رحاب القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وتزودنا منها خير الزاد ، إن خير الزاد التقوى ؛ فلنحافظ على ما أحرزناه من مدرسة الصيام حتى نعيش به عامنا كله ؛ فإن رب رمضان هو رب شوال ورب الأيام والشهور كلها ، وإن ميراث نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يريد الحراسة المشددة ، والحماية اليقظة فى كل وقت وحين ، وإن قول الله تعالى ـ « لعلكم تتقون » فى نهاية آية الصوم لخير دليل على ما أقول ؛ لأن التقوى لا ترتبط بزمان ولامكان ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ « **اتق الله حيث ما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » [1] .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده والترمذى عن أبى ذر ـ رضي الله عنه ـ .

نعم ، اتق الله حيثما كنت ؛ لأنه سبحانه وتعالى معكم أينما كنتم ، والتقوى هى وصية الله لعباده جميعا فى كل زمان ومكان ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١) .

لهذه الحكم ختم الله بها آية الصوم ، ولايستطيع العبد أن يقوم بها على أكمل وجه ، إلا إذا حافظ على حظه ونصيبه من الميراث المحمدى ، وذلك لأن التقوى شاملة وعامة تتخلل الأقوال والأفعال والنوايا والأحوال ، وقد عرفها سيدنا الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ بأنها هى : الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل ـ رزقنا الله تقواه .

اللهم عافنا واعف عنا آمين .

---

(١) سورة النساء . الآية ١٣١ .

عيد الفطر المبارك

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر

الله أكبر .. الله أكبر :

الله أكبر .. ما خاطب الرب المؤمنين بنداء الرحمة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١).

الله أكبر .. ما لبى النداء المؤمنون فصاموا شهر رمضان امتثالا لأمر ربهم ، فكان صيامهم إيمانا واحتسابا طاعة للأمر ، وطمعا فى الأجر .

الله أكبر .. ما صاموا عن الشهوات والملذات وفضول الكلام ، فصاموا عن الطعام وهو مرغوب شهى ، تتضور بعدمه المعدة ، وصاموا عن الشراب وهو مستساغ مشروب مطلوب ، والعطش يفتت المرائر ويلهب الأفئدة ، وصاموا عن شهوة الفرج وهو حلال مباح قهرا للشهوة وإلجاما لها بلجام الصوم ، صاموا عن لغو الحديث وفضول الكلام ، وعن الرفث والفسوق وقول الزور والعمل به طمعا فى طهارة الجوارح عن كل جارح ، وكمالا للصوم

• ألقيت بالمسجد العتيق بد نقلا عام ١٩٨٥ م/١٤٠٥هـ .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٨٣ .

وطهرة له .

الله أكبر ما صام المؤمنون صيام الرضا والقبول والمثول ، وعكفوا فى المساجد، وقاموا الليل تهجدا ، وعكفوا على القرآن تلاوة ، فعاشوا معه نهارهم وختموه مرات ومرات ، وكان لهم بعدد أحرفه أجرا مأجورا ، وعملا مشكورا ، وتجارة لن تبور .

نورهم على وجوههم من تلاوة القرآن ، نزلت عليهم الرحمة والرضوان بتلاوة القرآن فى شهر القرآن ، تجارة مع الله رابحة ، بركات نازلة ، وهبات وعطيات ، ونفحات ورحمات ، ما أعظمها من تجارة ربحت تجارتها ، وراجت بضاعتها ، لا خسارة ولابوار .

تلك لقاءات ومحادثات فيها النجوى من رب العزة جل وعلا ، فقد قال شيخنا الشيخ صالح الجعفرى - ﷺ - : **من أراد أن يتحدث مع الله فليقرأ القرآن ، ومن أراد أن يستمع إلى الله فليستمع إلى القرآن** .

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر : ما صام المؤمن شهر رمضان ، وفى هذا اليوم أفطر تكريما ليوم الجائزة ، يوم المكافأة ، فهو عيد فى الأرض وعيد فى السماء ، وقد جاز المسلمون صوم الشهر بنجاح ، وبذلوا فيه من الصبروالرضا ما بذلوا ، إذن فليروح الله عن نفوسهم ، وليجعل لهم سرورهم ، وليقم لهم حفل تكريم يشهده الملأ الأعلى فى السموات وصالح المؤمنين فى الأرض ، يجتمعون معا مهنئين مكبرين الله على إتمام النعمة وكمال التوفيق .

ويسمى هذا اليوم السعيد فى الأرض بالعيد ، وفى السماء بيوم

الجائزة، ينادى الحق جل جلاله ملائكته « **ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟** » **فيقولون: « إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره » فيقول سبحانه : « أشهدكم أنى جعلت ثوابهم بصيامهم وقيامهم رضائى ومغفرتى » ثم يقول سبحانه وقد نظر إلى جميع المصلين نظرة رحمة وحنان « سلونى يا عبادى فوعزتى وجلالى لاتسألونى اليوم فى جمعكم هذا لآخرتكم إلا أعطيتكم ولا دنيا إلا نظرت لكم، وقد أرضيتمونى فرضيت عنكم ، انصرفوا مغفورا لكم »** .

فما أجل رحمة الله ، وما أحكم شريعته ، وما أسطع أنوار دينه الحنيف السمح المملوء بالهدى والتقى والبشرى رحمة بالمؤمنين الصادقين .

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر . لا إله إلا الله . الله أكبر ولله الحمد . هذا النشيد الإلهى العظيم ، النشيد الخالد الذى تردده ملايين المسلمين فى هذا اليوم فى مشارق الأرض ومغاربها ، يكبرون الله الكبير فوق كل كبير ، والعظيم فوق كل عظيم ، ويوحدون الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ويحمدونه على نعمه الكثيرة، وأفضاله الجزيلة، والتى غفل عنها الإنسان وتناساها وحسبها من حقه بدون عطية .. هل فكرت أخى المسلم فى عملية حسابية بسيطة فى يوم من الأيام ، هذه العملية نقاش دار بين اثنين : قال أحدهما للآخر : لماذا لم يكن عندك مسبحة وأنت شيخ ؟ فرد عليه الشيخ : لأى شئ المسبحة ؟

قال : تسبح الله بها وتحمده .

فقال الشيخ : عودنى ربى أن يعطينى عطاياه بلا عدد ، فكيف

أسبحه وأحمده وأشكره بعدد ؟ !

إننى أسبحه بعدد الأنفاس التى أتنفسها ، وبعدد نظراتى التى أنظر بها وبعدد حركاتى وسكناتى وشعورى ووجودى معه ، وصلتى به كالتيار الكهربائى إن غفلت عنه لحظة انقطع التيار ، وأظلم وجدانى ، وخبا نور حياتى .

فهل فكرت فى تجربة لتعرف مدى رحمة الله بك وعطفه عليك ؟ غمض عينيك ساعة من الزمان لتعرف فضل الله عليك فى نور عينيك ، ضع قطنا فى أذنيك ساعة من الزمان لتعرف فضل الله عليك فى نعمة السمع ، اقفل أنفك لحظات لتعرف قدر نعمة النفس ، وماذا يكون لو حبس البول من النزول وصار عندك حبس بول ثلث يوم كم تعانى ؟! وكم تعانى ؟!.

تذكروا الله فى نعمه ، تذكروه فى أفضاله عليكم ولاتلهيكم النعمة عن المنعم ، فلولاه لما كانت النعمة .

أيها المسلم الكريم :

إن هذا اليوم وإن كان عيدا شكلا وروحا ، إنما هو فى المعنى وقفة تأمل وتفكر من مرحلة إلى مرحلة ، وأعنى بذلك أننا عشنا شهرا كاملا فى مدرسة الصوم العظيمة ، فالصوم فى العقيدة إيمان وإذعان ، فيه تقويم الأخلاق وتعديل السلوك ، والتمرين على الصفاء البدنى ، والسمو الروحى والعزم النفسى ، مما يخدم الأمة فى سلمها ورخائها وحربها وغلائها ، ويمنحها التعاون على البر والتقوى ، ويجنبها الإثم والعدوان .

ولنقلب جميعا صفحة واحدة فى مقرر هذه المدرسة كم فيه من

هبات وكرامات ، وخصائص ومخصصات ، فيها دراسات عليا هيأها الله تعالى لعباده فى مدرسة الصوم تلك المدرسة المثالية الفاضلة التى صنع الله طلابها على عينه واختارها اختيارا ، واصطفاهم اصطفاء ، ورباهم على مائدته ، وسقاهم رحيق توفيقه وعلمهم من لدنه علما ، ليس بالنظريات الفجة، ولا بالمبادئ الخالية ، ولكن على حياة متناسقة يؤدى فيها حق الروح مع حق الجسم ، وطاعة الله مع رحمة الخلق ، والتنزه عن السفاسف مع الدأب لمعالى الأمور حتى إذا انتهى دور الدراسات وجاز الطلاب الامتحان بسلام ، فهناك الرضا السامى من منشئ المدرسة ، وهناك أفراح فى السماء ، وعيد فى الأرض ، فهذا هو العيد .

والسؤال المطروح : وماذا سيكون بعد العيد ؟ أهى رجعة إلى الوراء مرة أخرى ؟ أم هى تلك الطهارة والنقاوة نسير على هديها ، ونسلك مسلكها ، ونترسم خطاها ، وتكون الدراسات العليا هى علمنا فى معاملة الحياة رحمة بالمؤمنين ، وتوددا إليهم ، وعطفا بالفقراء والبؤساء والأيتام ، وقضاء للحاجات ، وصمتا عن فضول الكلام ، وترك مالا يعنينا .

الأخـــوة أهل الإيمان :

من حكمة الله وفضله ورحمته أن يتبع شهر رمضان بشئ من الصدقة يبذله المرء عن طيب نفس شكرا لله على فضله وتوفيقه ، وإعانته على أداء شعيرة الصيام ، وسنة القيام حتى يستوجب من ربه المزيد .

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (١) .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٧ .

ثم لايخلو الصائم من هفوات بدرت فى صيامه فشرعت زكاة الفطر تطهيرا وتزكية لصيامه ، وهى بمثابة امتحان عملى للصائم ، هل استفاد من صيامه العطف والشعور بحاجة المعوزين ، والسخاء والبذل والعطاء للمحتاجين وهى تعميم لشعور الفرحة والبهجة لجميع المسلمين ، الأغنياء والفقراء ندفع عنهم الحاجة فى يوم العيد ، ونمكنهم من عوامل الفرحة والبهجة ، والرسول يقول : « **صيام رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر** » . فأدوها بسخاء وكريم عطاء « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول القرآن : يارب منعته النوم بالليل فقام بى، ويقول الصوم : يارب منعته شهوته بالنهار فيشفعهما الله فيه** » [1].

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** » .

---

(١) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ

الخطبة الثانية

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر.. الله أكبر .. الله أكبر كبيرا . والحمد لله كثيرا . وسبحان الله بكرة وأصيلا .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد ، وعلى أزواج سيدنا محمد ، وعلى أتباع سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا .

والحمد لله على نعمة الإسلام وكمال الإيمان . نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره . ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فهو المهتدى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وبيده المصير . ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شئ وقدره تقديرا .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه وصفيه وخليله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداه أرسله الله رحمة للعالمين ، وخاتما للأنبياء والمرسلين ، ختم برسالته الرسالات ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، فى العالمين إنك حميد مجيد .

أقولها لكم صريحة ، وأقولها لكم مواجهة : لو عرفتم قدركم عند

الله ومكانتكم والله والله ما نامت أعين لكم ، ولاغمضت أجفانها ، ولا تواكلتم وتوانيتم فى أمر هذا الدين .

الدين عقيدة وإيمان ، والإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، ولست فى حاجة إلى أن أعدد ماذا فعلتم وماذا تركتم ، فكلكم أدرى بنفسه وأدرى بدينه ، فالدين المعاملة ، فمن حسنت معاملته مع خلق الله فهو على دين ، ومن اختلفت معاملته مع خلق الله كان دينه غثاء أحوى ، فما أحوجنا اليوم ونحن نخرج من مدرسة الصوم إلى العودة إلى كتاب الله ، ففيه الهدى والفلاح ، وفيه النجاح والفلاح .

وما أجدرنا باتباعه والسير على نهجه ، لانفرط فى المصحف الذى لزمناه فى شهر رمضان ، ونعكف عليه تلاوة ، ونتفهمه معنى ، ونجعله دستورا للحياة فى المنزل والمتجر ، وليس لنا فى هذا الوجود سوى كتاب الله ، ولا نجاة ولاراحة ولا يسر حال ولاراحة بال إلا بكتاب الله .

اسكن إليه تسكن جوارحك ، ويصلح الله حالك ، ويبعث فى نفسك الطمأنينة . تعالوا بنا نجلس لحظات فى مدرسة الرسول نتفق على كلمة سواء ، وقفة ناصحة مخلصة فى هذا اليوم العظيم ، والرسول يحدثنا بقوله : « **والذى نفس محمد بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفرلهم** » [1] .

ولو لم تذنبوا ماذا يحدث ؟ لذهب الله بكم ، وبعد ذلك يأتى بقوم يذنبون من عجائب الله - تعالى - أن جعل الذنوب مظهرا لرحمته ومنفذا لعفوه ، واستجابة لغفرانه ، ومعنى ذلك : أنت أيها الإنسان مخلوق لتذنب ،

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

والله يغفر لك الذنب ، فارتكاب الذنب ليس مشكلة .. المشكلة فى الإصرار عليه ؛ لأن الإنسان لابد له من أن يتعرض لنفحات الله :

التوبـــة ، والعفـــو ، والقبـــول .

لا يأس ولا قنوط مع رحمة الله . فالله - تعالى - أعد الرحمة وأعد المغفرة للمذنبين ، ولو أن الناس ما أذنبوا لذهب بهم وجاء بقوم يذنبون حتى تتجلى عليهم رحمته بالعفو والغفران .

والرسـول يحـدثنا بقـوله : « **كل ابن آدم خطاء ، وخـيـر الخطائين التوابين** » [1] .

فـالخطأ فى الإنسـان عـادة وهو ليس بمعـصوم ، وخـيـر الخطائين التوابون ، فأهل الخطأ هم أهـل التوبة ، فالخطأ من الإنسـان عادة عـندها ممحاة(أستيكة) يستعملها الإنسان فتذهب به ، ويعتبر دفترك نظيفا .

يقول المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - « **لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم** » [2] .

ويقول أيضا « **إن الله - عز وجل - يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** » [3] .

ويقـول عليـه الصلاة والسلام : « **الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر** » [4] .

---

(١) رواه الإمام أحمد ، وابن ماجة والترمذى وغيرهم .

(٢) رواه ابن ماجة فى الزهد ، ورواه الإمام أحمد . (٣) رواه الإمام أحمد ومسلم فى صحيحه .

(٤) رواه الإمام أحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه وغيرهما .

اخـــوة الإيمان :

المقـصـود من ذلك أن ارتكاب الذنوب ليس مـشكلة لأن باب التـوبة مفتوح ، الله يقبل توبة العبد مالم يدخل سكرات الموت .

والتوبة واجبة والاستغفار واجب ، والرجوع إلى الله هو الملجأ ، فلا مناص ولا خلاص ، ولا هدوء ولااستقرار ولاطمأنينة ، ولا عيش رغدا هنيئا، ولاراحة بال ولااستقرار حال إلابالتوبة والرجوع إلى الله ، ولاتفكر فى شئ أيها المسلم ، كل شئ بيد الله قدره تقديرا .

الرخاء والبلاء والمرض والشفاء والحياة والموت كل ذلك بيد خالقه ، فإذا أردت السعادة فى الدنيا ونعيم الآخرة عليك بالآتى :

أولا : توبة نادمـة على مـا فـرطت وأذهبت ، توبة نصـوحـا على ألارجعة ونكسة التزاما بما أمر الله .

ثانيـــا : الدخـول فى حظيرة التوبة وفتح أبوابهـا والدخـول فى حضرتها ، الصلوات ، والذكر ، والمعاملة .

فـالصـلاة مـعـراج المؤمن ، من أراد أن يعـرج إلى الله ـ تعـالى ـ ويتحدث معه فليدخل الصلاة ، وقفة أمام الله فى اليوم والليلة خمس مرات . ما أعظمها من لحظات !.

تعالوا بنا نسمع هذه الكلمة : كم يكون شعورك مملوءاً بالسعادة عندما تذهب إلى مسئول ، وأنت تريد شيئا من مستلزمات حياتك اليومية فتجد الإجابة لطلبك ؟ وكم يكون شعورك عندما تقف أمام الله فى اليوم خمس مرات ـ ولله المثل الأعلى ـ ولكن غلبت علينا شهواتنا فى الحياة فصار تقديرنا بما يعود علينا فى الدنيا ، ومن كفل رزق الدنيا موجود .

إخـــوة الإيمان :

إنما هى تذكرة فمن شاء ذكره ، وهى موعظة أكيدة المعنى رصينة المبنى ، وشئ آخر أمانة أمينة ، وكلمة أردت بها وجه الله - تعالى - لا زيد ولاعمرو .

إخـــوة الإيمان :

بلادنا تمر بمرحلة عصيبة ، علينا ألانقف بمعزل عنها ، علينا أن نحكم العقل والضمير ، وألانترك الساحة فى سلبية تعود علينا بمن يتسلطون علينا فيأخذ من لايستحق مكان من يستحق .

إن الوطن أمانة ، والانتفاضة الشعبية أمانة ، أخطاء الماضى أمانة، فلا تدعوا الساحة خالية لأصحاب الأهواء والأغراض ، فالحرية والديمقراطية مكسب غالٍ ، ونكسة علينا فى استغلالها لغير الصالح العام ، فعلى كل مواطن أن يساهم ويشترك فى العمل على رفع المعاناة عن الشعب ، وأن يشارك فى الصلاح والإصلاح ، ولا مكانة للسلبية ، ولا للأغراض الشخصية المستهدفة، فلا تكونوا بمعزل عن مجريات الأمور فإن ذلك محسوب عليكم ، الوحدة الوطنية ووحدة الصف غاية غالية ، ومطلب شعبى يؤكد وحدة الأمة فى سبيل نهضتها وغايتها ، والله أسأل أن يوفقنا إلى مايجنبنا الردى ، وأن يكفينا ما يذهب القوى .

إخـــوة الإيمان :

هذه نسمات العيد أطلت عليكم فتنسموها برا وحمة وصلة للأرحام ، وعفوا عن الخصام ، يا فوز ويافوز ويافوز من ذهب لصاحب خصام وتصافى معه فى هذا اليوم ، ويافوز من وصل رحمه وزار أهله .

إن هذا اليوم عيد فى السماء ، وعيد فى الأرض ، بأمر الله العليم بشئون خلقه الذى قال : (افرحوا) فالحزن والبكاء والفروشات والذهاب إليها بنية العزاء حرام ومكروه ، بل تحدٍ لأوامر الله .

الزيارة مقبولة ، والتزاور يرصد الله له ملكا يسجله ، وهو أعلم بالنوايا، فاجعلوا أيام عيدكم فرحة وبهجة بالحلال الطيب .

والتهنئة لكم جميعا ، وكل عام وأنتم بخير إن شاء الله .

حكم الإسلام فى الردة *

الحمد لله على نعمة الإسلام وكمال الإيمان ، رضينا به ربًا، وبالإسلام دينا طاعة لأمره .﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١).

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، الحكم العدل اللطيف الخبير بشئون خلقه ، وبما يصلحهم فى دنياهم وأخراهم

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين ، فلا نبى بعده ولارسول بعده ، ولارسالة بعد رسالته الخاتمة للرسالات السماوية ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين نشروا الدين بدعوة (لا إكراه فى الدين) فاستجابت لهم النفوس المطمئنة التى تبينت الرشد من الغى ، فورثوا خير الدنيا ونعيم الآخرة .

يا إخـــوة الإيمان :

الذى يدور فى هذه الأيام من حديث ونقاش وجدل وفتوى حول حكم الردة فى الإسلام : مرده قصور فى فهم الشريعة الإسلامية ، والغاية من إقامة الحدود وأثر ذلك فى بناء المجتمع المسلم واستقراره فى الأفراد

---

* ألقيت بمسجد الثانوية العليا بدنقلا ، ونسخت ووزعت على المساجد فى يوم حكم الردة بالسودان ، ٢٦ ربيع الثانى ١٤٠٥هـ/١٨ يناير ١٩٨٥م .

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .

والجماعات والأمة .

وحتى نكون على بينة من حكم الردة فى الشريعة الإسلامية تناولت هذا الموضوع فى هذا اللقاء وفق قانون السماء الذى أصدره المولى - عز وجل - ليحكم بين الناس ، وكما بينته السنة المطهرة الصادرة عن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - ووفق إجماع أئمة الشريعة الإسلامية .

إخـــوة الإيمان :

لم يوصف دين سماوى منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا على امتداد تعدد الرسالات والرسل والأنبياء بصدر رحب مع المخالفين له كما وصف الإسلام ، ولم يكن هناك مكان آمن أمين لكل الناس على اختلاف أجناسهم وعقائدهم مثل ما هو فى الإسلام ، ولم يتمتع الناس بحرية الاعتقاد فى دين من الأديان مثلما تمتعوا بها فى ظل الإسلام كيفما وحيثما كانوا ، ونصوص الإسلام خير شاهد ودليل على ذلك ، فقد تجد قوله تعالى :

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (١) .

هذه الآية الصريحة الواضحة تؤكد حرية الاعتقاد ، وليس هناك من يكره الناس على دخول الإسلام قسرا أو قهرا أو غصبا ، إنما الدخول فى الإسلام عن طواعية واختيار ، فقد أعطى الله - تعالى - الإنسان العقل الذى يستخدمه فى الخيار بعد أن تبين له الرشد من الغى ، وكذلك قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .

فى كلام صريح يقرر المولى عز وجل حرية الاعتقاد بعد بيان الفارق بين الكفر والإيمان ، والمرء حيث يجعل نفسه ، فإذا ظلمها وأدخلها مدخل الكفر فهو فى النار .

ويخاطب المولى - عز وجل - رسوله بقوله :

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وعلى هذه التعاليم السماوية كانت الدعوة الإسلامية فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين من بعده ، فقد أجمع علماء الأمة الإسلامية أن حرية الاعتقاد مكفولة فى الشريعة الإسلامية نظريا وعلميا، حتى إن القرآن نهانا أن نجادل أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، والهدف من ذلك أن يكف الناس عن الخوض فى هذه القضية لأن هذا يوقظ الفتن ويوغر الصدور ، ويثير الأحقاد ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) .

يا إخـــوة الإيمان :

والسؤال المطروح أمامنا على الساحة اليوم : طالما كفل الإسلام حرية الاعتقاد والاختيار عن طواعية لمن يعتنق الإسلام ، هل له الحق فى أن يخرج منه اختيارا كما دخله اختيارا حسب مزاجه وليس لأحد إرغامه على البقاء فيه ؟

فى هذا السؤال تكمن الخطورة فى الفهم الخطأ لمعنى « **لاإكراه فى**

---

(١) سورة يونس ، الآية ٩٩ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

الدين » ، والآيات السابقة التى كفلت حرية الاعتقاد ؛ إذ ليس فى عقوبة الردة ما يتنا فى مع حرية العقيدة التى أقرها الإسلام ، لأن الآيات التى كفلت حرية العقيدة تنفى الإكراه فى الدين ، عند الدخول فى الإسلام واعتناقه وليست تتعلق بأمر الخروج منه .

على أن من دخل الإسلام طائعا مختارا فى الاعتقاد بعقيدة الإسلام بعد أن تبين الرشد من الغى ، والحق من الضلال ، ليس له الحق فى الخروج؛ لأن الحرية مكفولة مدخلا فيه لا خروجا عنه ، وليست الحرية انطلاقا عابثا لايعرف حقوقا ، ولايقف عند حدود ، وليست تلاعبا بالدين حسب الأهواء والمزاج ، فمن شرح الله صدره للإسلام ودخل فيه لا يقبل منه الارتداد عنه ، وقد توعد الله المرتد عن الإسلام بوعيد شديد : قال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

لأن الخروج من الإسلام والارتداد عنه ينطوى على كثير من التشكيك فى الإسلام ، وإلا لماذا دخل طائعا غير مكره ، ولماذا خرج منه ؟

الرد يكون : ما أخرجه إلاعدم صلاحيته ، أو أفضلية غيره عليه ، وعلى ذلك يترتب على الردة التشكيك فى صلاحية الإسلام خاصة إذا كان صاحب الردة صاحب دعوة تناهض الإسلام ، وله مكانة خاصة بين جماعة تدعو بما يدعو بما ليس فى الإسلام ،وتناهض الحكم بالشريعة الإسلامية ، وتبدل فى شريعة الله وتضع لها البدائل ، وتنازع ولى أمر المسلمين معارضة

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٧ .

فى تطبيق الشريعة الإسلامية كانت شبهة التشكيك أكثر خطرا ، وأبلغ ضررا ، وأوسع انتشارا ، وأعمق أثرا فى تعويق الاحتكام بالشريعة الإسلامية .

ومثل المرتد فى الإسلام مثل من ترك وطنه وانحاز إلى وطن معاد ، وهى الخيانة العظمى للجماعة التى ينتمى إليها وقد تحقق أن الإسلام وطن لكل مسلم ، وحب الوطن من الإيمان ، يقول الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - « **من بدل دينه فاقتلوه** » [1] . ومن وصايا الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - لسيدنا معاذ بن جبل عندما بعثه لليمن « **وأيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه إليه فإن عاد وإلا فاضرب عنقه ، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلافاضرب عنقها** » .

وعلى هذا فقد أعطيت فرصة للمرتد ثلاثة أيام للرجوع عن ردته والتوبة وإلا نفذ فيه حكم الله .

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم :

« **التائب من الذنب كمن لاذنب له** » .

---

(١) رواه البخارى والترمذى وغيرهما عن ابن عباس - رضي الله عنهما -

الخطبة الثانية

الحمد لله .

وأشهد ألا إله إلا الله . نعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

وأصلى وأسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، خاتم أنبياء الله .

إخـــوة الإيمان :

تتحقق الردة بأشياء حققها الشرع :

١- إنكار وجود الله والبعث والرسل والديانات السماوية .

٢- إذا أحل حراما حرمه الله ، أو أنكر ركنا من أركان الإسلام وعطله

٣- الطعن فى الشريعة الإسلامية وإعلان عدم صلاحيتها للحكم .

٤- الخروج على إجماع الأمة والحاكم بالشريعة الإسلامية معارضا تطبيقها فى الحكم .

لهذه الأسباب كان تشديد الإسلام فى عقوبة المرتد ، لأنه لو لم يُقْتَل لكان قدوة سيئة لغيره فى أوساط المسلمين ؛ لأن الارتداد هدف من أهداف أعداء الإسلام ، أخبرنا الله - عز وجل - عنه بقوله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (١) .

فامرتد يشكك فى صلاحية الإسلام ، ويكون ارتداده سابقة خطيرة ثم يكون أشد عداوة للإسلام والمسلمين بحكم وقوفه على كثير من مقاصد

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٠٩ .

الشريعة الإسلامية فيتناولها بالطعن والتحريف والتزوير والتبديل ، ولهذه الأضرار مجتمعة قرر الإسلام قتل المرتد عن دينه دفعا لشره ، وزجرا لغيره ، وقتلا لفكرته ، ولاشك أن بقاء المرتد حيا وقد أصبح عضوا فاسدا فى جسم الأمة إذا لم نتخلص منه تسربت القدوة إلى غيره ، وفى هذا تعريض العقيدة الإسلامية للخطر ، فكانت الحكمة فيما قضت القتل لقتل فكرة الردة وبواعثها لأن الفكرة باقية ببقاء صاحبها .

أعاذنا الله وإياكم من الردة بعد الإيمان ، وأماتنا على الإيمان الكامل والإسلام .

وصلوا على نبيكم ، فالصلاة عليه ذخر وزاد .

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيماً لحقك يامولانا يا محمد ياذا الخلق العظيم . وعلى آله وصحبه فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم

عبـــاد الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وأقم الصلاة .

---

(١) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

الحياء من الإيمان *

الحمد لله . أودع فى النفوس ما يهديها للخير .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بيّن لأمته ما يسعدها وما يشقيها .

أحمد الله وأستغفره ، وأشهد ألا إله إلاالله ، بّين الهدى من الضلال .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، حث على جميل الخصال ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المتشبهين به فى الأقوال والأفعال .

أما بعد .

أخى المسلم : جاء الإسلام بعقائد وخصال هى أركان لبناء الأمم وأسس لسعادتها ، وعماد للمدنية الطاهرة الصحيحة ، وفى كل خصلة باعث للأمة على استكمال رقيها ، ومحرك للهمم إلى إسعادها وتحريرها .

من أهم الخصال الجليلة التى جاء بها الدين : خصلة الحياء ، وهو تأثر النفس من فعل ما يعيبه الدين أويكرهه الناس .

الحياء خوف اللوم والتوبيخ ، والتعيير ، وهذه خصلة تردع النفس عن شهواتها ، وتصدها عن قبيح مطالبها ، وتمنعها من الطغيان ومجاوزة الحدود ، وتردها إلى الحق والعدل والإنصاف .

---

* ألقيت بمسجد الثانوية العليا بدنقلا أول مارس عام ١٩٨٥ م .

الحياء لجام النفوس ، وحاجزها عن الآثام وعن الفسوق والعصيان ، صاحب الحياء لايظلم ، ولايسرق ، ولاينهب ، ولايؤذى بيد أو لسان ، صاحب الحياء لايزنى ولا يفسق ، ولايرتكب مايغضب الرحمن ، صاحب الحياء يخجل ويستحى من إغضاب الله - تعالى - أوإيذاء الناس ، ويذوب خجلا من هتك حجاب الفضيلة ، وولوج أبواب الرذيلة ، ويراقب ربه ، ويحاسب نفسه ، ويعمل لآخرته قبل أن يعمل لدنياه .

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **استحيوا من الله حق الحياء قلنا : إنا لنستحيي من الله يارسول الله والحمدلله، قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من اللهحق الحياء أن تحفظ الرأس وماوعي ، والبطن وما حوي ، وتذكر الموت والبلي ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة علي الأولي ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من اللهحق الحياء** » [1].

أخي المسلم :

إذا رأيت التجار قد خربت ذممهم ، وكذبوا فى أيمانهم ،وخسروا فى تجارتهم ، فسبب ذلك فقدان الشرف ، لضياع الحياء ، فالثقة أساس التعامل ، والثقة سر الأخذ والعطاء ، ولايوثق إلا بشريف المعاملة ، صادق القول ، يستحى من الفسق والكذب ، والتضليل ، فالحياء ينظم المعاملات ، ويحفظ العهود ، ويصون التعاقد ، ويبعث على الأمانة والصدق .

إذا رأيت النساء قد خرجن متبرجات فى السوق وفى الطرقات يعرضن أجسادهن وزينتهن على الرجال ، ولايخجلن من الفخر والتخايل ،

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود - ﷺ - ورواه الترمذى عنه أيضاً .

والقفز والتمايل ، فاعلم أن الحياء قد طلقهن بالثلاثة ، وأن الخجل قد مات عندهن ،وأن الشرف والفضيلة دفنا فى بطن الأرض ، وإذا رأيت الرجال قد فقدوا الغيرة على نسائهم ، وصار بعضهم تيوسا لاتحس ولاتغار ، ونعاجا لاتشعر ، فقل : ذهب الحياء ، وذهب الخجل .

وإذا رأيت أمة مهانة فى كرامتها، مستعبدة ذليلة ، لايخجل أبناؤها من الاستعباد للغاصب فقل : أين الإباء والرجولة ؟ أين الحياء والشهامة ؟ فالحياء فى المعاملة يسمى شرفا ، وفى النساء عفة وطهارة ، وفى خدمة الحق يسمى إباء وشمما ، وفى حفظ الأعراض يسمى غيرة ونخوة ، فهو رأس الفضائل ، وعماد المحامد .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **إن لكل دين خلقاوخلق الإسلام الحياء** » [1] وقال أيضا : « **الحياء خير كله ، والحياء لا يأتى إلابخير** » [2] .

الشخص الذى لاحياء عنده لايستحى من الدنية ، ولايخجل من الرذيلة ، ولا يأنف من تعاطى المنكرات والقبائح ، يجاهر بالإثم ، ويعتدى على الناس ، بل يعتدى على الرسل المعصومين ، والأنبياء المكرمين ، فيتخذ من سب الرسل سبيلا للظهور ، وموردا للكسب ، ولايخجل من التطاول على رسل الله ؛ لأنه رقيع صفيق ، صدق فيه قول المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، إذا لم تستح فاصنع ما شئت** » [3] .

---

(١) رواه ابن ماجة فى سننه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ .

(٢) رواه مسلم عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ ورواه أحمد فى المسند عنه أيضاً . (٣) رواه البخارى.

أخي المسلم :

كل أمة فقدت خلة الحياء حرمت الرقى والتقدم ، مهما استخدمت من مخترعات وفنون وآلات ، وتضرب عليها الذلة والانحلال الخلقى والانهيار الأدبى ، وتنحل الروابط بين أفرادها ، وتضيع الثقة ،ويضطرب التعامل ، وتموت الهمم ، وتنعدم النخوة فتحل من ربك النقمة ، وتزول النعمة قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **ما كان الفحش فى شئ قط إلا شانه ، وما كان الحياء فى شئ قط إلا زانه** »[1] . ليس للوعاظ سبيل يحركون به العزائم ، وليس للمرشدين طريق يخوفون به المذنب ، وليس للمعلم والمدرس شئ ينشط به التلميذ البليد ، إلاالتوبيخ والتقريع واللوم .

فيقول الواعظ :ألاتستحى من ربك ؟ ألاتخجل من خالقك ؟

ويقول المعلم : ألاتخجل من تأخرك عن إخوانك ؟

فلا ينفع التوبيخ ولايفيد الوعظ ، ولا تنجح الدعوة للحق إلا فى أهل الحياء الذين يخجلون ويحسون ، فتأثير الحياء فى الأفراد والأمم أقوى من تأثير القوانين والأوامر والأحكام ؛ لأنه خلق ملازم صاحبه فى السر والعلن ، فيولد فى نفسه خوفا من القبيح ، وكرها للنقائص وخشية من ربه ، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[2] .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **الإيمان بضع وستون شعبة**

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عن أنس ـ رضي الله عنه ـ والترمذى وغيرهما .

(٢) سورة الرحمن . الآية ٤٦ .

والحياء شعبة منه » [1].

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له ».

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــــد .

أخي المسلـم :

ليس من الحياء أن تكتم سؤالا ينفعك فى دينك ، فإنه لاحياء فى الدين ، فاسأل عن حكم الجنابة ، وآداب النكاح ، وحكم المنى والاحتلام، واللمس والتقبيل ، قالت أم سلمة : « يا رسول الله إن الله لايستحيى من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال : نعم . إذا رأت الماء » [2] .

ليس من الحياء أن تسكت على منكرات صديقك أو رئيسك ، أو تخجل من الرد على المتهجمين على دينك ، بل هذا هو العجز والجبن والضعف الذى استعاذ منه نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد قال : **« الحياء خير كله »** [3] . فاتقوا الله واستعملوا الحياء فيما بينكم واستحيوا

---

(١) رواه البخارى .

(٢) راوه الترمذى ، والنسائى ، وأبو داود ، وغيرهم .

(٣) رواه أحمد ومسلم عن عمران بن حصين - رضي الله عنه -

من ربكم أن يراكم حيث نهاكم ، واخجلوا ممن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وهو معكم أينما كنتم .

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : **كان النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه** »[1] .

« **ومر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم برجل يعاتب أخاه فى الحياء . فقال: دعه ، فإن الحياء من الإيمان** »[2] .

وصلوا على نبيكم فالصلاة عليه ذخر وزاد ، ونور على الصراط .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة والبخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه -

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن سالم بن عبد الله عن أبيه .

الحلم سيد الأخلاق •

الحمد لله جعل الحلم سيد الأخلاق ، وجعل الحليم مصدر الرحمة والإشفاق .

وأشهد أن لا إله إلاالله وصف خليله بقوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (١).

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ذو الخلق العظيم والقلب الرحيم ، والعقل الحكيم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين تخلقوا بمكارم الأخلاق ؛ فكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ؛ ففازوا برضوان من الله فى جنات النعيم .

وبعد .

نتحدث بحديث المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - فيما رواه أنس - رضى الله عنه - قال : «**بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال له عمر : ما أضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى؟ قال : رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة . فقال أحدهما : يارب خُذلى مظلمتى من أخى . فقال الله : كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته**

• ألقيت بمسجد الثانوية العليا بدنقلا يوم ١٩٨٥/١/٤م

(١) سورة هود . الآية ٧٥ .

شئ ؟ قال : يارب فليحمل من أوزارى ! ففاضت عينا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالبكاء ثم قال : إن ذلك يوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل من أوزارهم.

فقال الله ـ جل جلاله ـ للطالب : ارفع بصرك فانظر .

فقال : يارب أرى مدائن من ذهب وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ . لأي نبى هذا ؟ أو لأى صديق هذا ؟ أو لأى شهيد هذا ؟ قال : لمن أعطى الثمن ، قال: يارب ومن يملك الثمن ؟ ! قال : أنت تملكه . قال : بماذا ؟! قال : بعفوك عن أخيك ! قال : يارب فإنى قد عفوت عنه . قال الله ـ تعالى ـ : فخذ بيد أخيك وأدخله الجنة . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عند ذلك : « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المسلمين » [1].

هذه نفحة من نفحات النبوة يزجيها المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأمته ؛ ليأخذوا منها العبرةوالقدوة الحسنة .

انظروا هذا التصوير البديع وتخيلوه . أى سينما وأى تليفزيون هذا ؟ هذا نور النبوة يكشف للسائرين فى دربه مسالك الحياة . فالحلم والعفو منزلة من منازل الإيمان وأمارة من أمارات اليقين بأن الله ـ تعالى ـ هو المجازى والمحاسب ، وبأن ثواب الله الذى أعده للعافين عن الناس والكاظمين الغيظ خير من لذة الانتقام والانتصار .

---

(١) مستدرك الحاكم ـ كتاب الأهوال ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ

ولذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « **من كظم غيظا وهو يريد أن ينفذه دعاه الله - تعالى - يوم القيامة على رؤوس الخلائق ؛ حتى يخيره فى أى الحور شاء** »[1].

ما أربح الثمن ! يخيره فى أى الحور شاء . فالرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « **ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يضبط نفسه عند الغضب** »[2].

فالذى يمسك نفسه هو الشديد القوى ، والرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - يوجهنا بقوله : « **ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات ؟**

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : أن تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك »[3].

فأى كمال بعد هذا الكمال ، وأى أخلاق بعد هذه الأخلاق ، وأى تربية تستطيع أن تغرس فى الإنسان هذا الطهروهذا النقاء إلا الحلم والصفح والعفو . فالخصومات الشخصية تهدم صرح المجتمع ، وتزلزل أركانه ، وتقوض بنيانه ، وتجعله مسرحا للأحقاد والأحداث والخلاف والفرقة والشتات وبذلك يتفكك المجتمع ويضطرب أمنه ، ويختل ميزان التعامل والتعاون بين الناس فتفشو المنازعات ، وتتفشى القطيعة ، ويستبد كل برأيه ، ويتناصر كل

---

(١) رواه ابن ماجة فى سننه عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ، ورواه الترمذى عنه أيضاً .

(٢) رواه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

(٣) رواه أحمد فى سنده عن سهل بن معاذ عن أبيه .

بأهله ، ويجد رواد القيل والقال سوقا لبيع فضول الحديث ؛ ليشعلوا نار الفتنة، والفتة نائمة لعن الله من أيقظها .

يا أهل الإيمان :

السوق الرابحة ، والتجارة الرائجة فى إصلاح ذات البين .

فأهل الإصلاح والصلاح الذين استجابوا لدعوة من هو بالمؤمنين رءوف رحيم ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم .

قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **أفضل الصدقة إصلاح ذات البين** » ، وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة . قالوا : بلى . قال : إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة. لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين** »[1] .

عباد الله : فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأصلحوا بين الناس ورغبوا فى الصلح بينكم ، واحذروا الإفساد بين المتخاصمين . فكل يوم - تطلع فيه الشمس - تعدل بين اثنين أى تصلح بين المتخاصمين صدقة .

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم -: « **التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتائب حبيب الرحمن** » .

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾[2] .

---

(١) رواه أبو داود فى سننه .

(٢) سورة نوح . الآية ١٠ .

الخطبة الثانية

الحمد لله أمر المؤمنين بالإصلاح بين المتخاصمين منهم لعزتهم وطيب حياتهم بائتلافهم وتواددهم وتراحمهم. قال تعالى -: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله نهى عن التنازع والاختلاف قال - تعالى - : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله كان يسارع فى الإصلاح بين المتخاصمين .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أهل الصلاح والإصلاح ، صلاة دائمة بدوام الله العظيم .

وبعد .

يقول المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - « **لايحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام** » (٣) .

ثلاث ليال ليندم المسلم ويراجع نفسه فيها ، ويقبل على مصالحة أخيه قبل أن يستفحل الخصام .﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأنفال . الآية ١ . (٢) سورة الأنفال . الآية ٤٦ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى أيوب الأنصارى - رضي الله عنه -

(٤) سورة الشورى . الآية ٤٠ .

إن الإصلاح بين الناس من أفضل القربات .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **ما عمل ابن آدم شيئا أفضل من الصلاة وإصلاح ذات البين وخلق حسن** » .

وصلوا على نبيكم فالصلاة عليه ذخر وزاد .

اللهم إنا نسألك بنور وجه الله العظيم ، الذى ملأ أركان عرش الله العظيم ، وقامت به عوالم الله العظيم ، أن تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم ، وعلى آل نبى الله العظيم ، بقدر عظمة ذات الله العظيم ، فى كل لمحة ونفس عدد ما فى علم الله العظيم ، صلاة دائمة بدوام الله العظيم ، تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم ، وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك ، واجمع بيننا وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما ، واجعله يارب روحا لذواتنا من جميع الوجوه ، فى الدنيا قبل الآخرة يا عظيم ، يوم تجزى كل نفس بما كسبت ، وهى رهينة الحساب : إما الجنة وإما النار ، أجارنا الله وإياكم من هول يوم القيامة وصلوا على شفيعنا يوم الحساب .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد ياذا الخلق العظيم .اللهم اجعل أيامنا خالصة لك ، ولا تأخذنا على غرة ، واجعل أوقاتنا عبادة ، وألزمنا كلمة الشهادة ؛ حتى نلقاك بها آمنين .

عباد الله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [1].

---

(١) سورة النحل . الآية (٩٠) .

حفظ الأمانة وأداؤها

الحمد لله . المطّلع على ما فى الضمائر علام الغيوب .

وأشهد أن لاإله إلا الله . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله ، المبرأ من النقائص والعيوب.

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك النبى الأمى، صاحب الشفاعة والكوثر فى يوم المحشر . اللهم احشرنا فى زمرته وتحت لوائه ، ويسقينا من حوضه بيده الشريفة شربة لانظمأ بعدها أبدا . وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعـــــد .

يا إخوة الإســلام :

ينبغى للمسلم أن يكون عالما فاهما بالأمانة ومعناها التى حملها على نفسه الإنسان ، والتى أمره الله بأدائها ، فالأمانة التى تبرأت منها أعظم المخلوقات ، تبرأت منها السموات والأرض والجبال وحملها الإنسان على نفسه ينبغى على الإنسان أن يدركها ويفهمهاكما قال ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن

يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [1].

وإذا كان الإنسان قد حمل هذه الأمانة فما عليه إلا أن يصدق الله - عز وجل - وماعليه إلا أن يمتثل أوامر الله - عز وجل - فيها ، ومتى كان كذلك فإن رب العزة سيعينه ويسدده ، ويسهل له كل ما تعثر فيه ، والله - سبحانه وتعالى - سيعينه على أدائها فما عليك إلا أن تتمثل أمر الله - عز وجل - فى ذلك ، كما عليه أن يعلم وأن يدرك أن الأمانة التى حملها الإنسان بابها واسع ومجالها فسيح ، وهى كما قال - تعالى - ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [2].

وإذا كانت الأمانة التى أمر الله بأدائها سببها خاص فإن لها العموم فى جميع الأمانات ، على الإنسان أن يدرك ذلك ويفهمه ، فكل ما أمر الله به، وما أمر بأدائه ، وما أوجبه على الإنسان كله من الأمانة التى أمر الله بأدائها والتى حملها الإنسان .

فمن أعظم ذلك حق رب العزة والجلال ، فالإخلاص فى عبادة الله خالصة لوجهه الكريم أمانة .

الصلاة أمانة فعلى الإنسان أن يؤديها كما فرضها الله - عز وجل - فى أوقاتها كما أداها الرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حيث صلى بالناس وقال : « **صلُّوا كما رأيتمونى أصلى** » [3]. فمن أدى الصلاة على الوجه

---

(١) سورة الأحزاب . الآية (٧٢) .

(٢) سورة النساء . ٥٨ .

(٣) فى صحيح ابن حبان - كتاب الصلاة من حديث أبى قلا بة عن مالك بن الحويرث

الذى أمر الله به وأمر به رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قولا وفعلا وعملا متى كان ذلك فقد أدى الأمانة ، ومتى أخل بشئ من ذلك فقد أخل بالأمانة التى أمر الله ـ عز وجل ـ بأدائها .

الزكاة أمانة فيجب على الإنسان أن يؤديها ويخرج الزكاة فى أمواله كما أمر الله ـ عز وجل ـ وكما جاء مفصلا فى السنة الشريفة .

الصيام أمانة عليك أن تؤديه كما أمر الله ـ عز وجل ـ

وكذلك الحج أمانة فيحب إن يؤدى فريضته كما أمرالله ـ عز وجل ـ إذا كان مستطيعا لأداء هذه الفريضة كما جاء فى الكتاب والسنة .

كل ذلك من الأمانة التى أمر الله ـ تعالى ـ بها وبأدائها والتى حملها الإنسان ، ينبغى للإنسان أن يؤديها ، كما أمر الله ـ عز وجل ـ

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أمانة ، وبر الوالدين أمانة، وصلة الرحم أمانة ، وحقوق الزوجة على زوجها أمانة ، وحقوق الزوج على زوجته أمانة ، وحقوق الأولاد أمانة ، وحقوق الوالدين أمانة ، والحقوق التى بين الانسان وبين ربه أمانة ، والحقوق التى بينه وبين سائر الناس أمانة ، والمعاملات أمانة ، والكلمة أمانة ، والحديث أمانة ، والوطن أمانة ، والصدق أمانة ، وكلمة الحق أمانة .

ومتى أديت الأمانة وفق ما أمر الله ـ عز وجل ـ كنت أمينا عند الله ، ومتى فرطت فى الأمانة كنت خائنا للأمانة ، ومن أهم الأمانات تربية الأولاد تربية إسلامية ، ولكل أمانة سؤال عند الله ـ تعالى ـ عندما تقف بين يدى الله لاتملك لنفسك نفعا ولاضرا .

عن أنس - رضى الله - تعالى عنه - قال خطبنا الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - قائلا « **لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولادين لمن لاعهد له** » [1].

وعنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال :

« **التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، التائب حبيب الرحمن** »

أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

وبعد .

يا إخوة الإيمان :

اتقوا الله عباد الله ، واشكروه على نعمة الإسلام وكمال الإيمان ،

---

(١) رواه أحمد فى المسند عن أنس - رضي الله عنه -

واغتنموا العمر فى طاعة الله ، وطاعة رسوله ، والعمل الصالح الذى يكون زادكم فى الآخرة ، ومؤنسا من وحشة القبر يوم تبلى السرائر ، يوم لاينفع مال ولابنون إلامن أتى الله بقلب سليم .

قال سيدنا على - كرم الله وجهه - : خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : « **يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا كتب ، وكأن الحق على غيرنا وجب ، وكأن الذى نشيع من الأموات عما قليل إلينا راجعون ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن طاب كسبه واستقامت طريقته** »[1] . فالدنيا لحظات ، وخيرما فيها الباقيات الصالحات ، فأصلح ما بينك وبين الله يصلح الله لك الحال ، وأد أمانة الله لله ، فالدين الأمانة فليحفظ أحدكم دينه .

واعلموا عباد الله أن الله - سبحانه وتعالى - يأمر بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى قولا كريما :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2] .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، واللواء المعقود ، وعلى آله وسائر الصحابة أجمعين .

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين ، اللهم ول أمورنا خيارنا ولا تول

---

(١) شعب الإيمان - الزهد - من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -

(٢) سورة الأحزاب . الآية ٥٦ .

أمورنا شرارنا ، ووفقهم لنصر دينك والقيام بأمرك ،وارزقهم البطانة الصالحة التى تذكرهم إن نسوا ، وتنبههم إن غفلوا ، وقو عزائمهم واجمع كلمتهم .

اللهم اجعل هذا البلد وسائربلاد المسلمين فى أمن وأمان ورخاء وسلام . ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[1] .

عباد الله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [2] .

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون .

---

(١) سورة البقرة . الآية ٢٠١ .

(٢) سورة النحل . الآية ٩٠ .

العوامل التى تهدم المجتمع الإسلامى *

الحمد لله جعل الغيبة والنميمة من الأخلاق الذميمة .

وأشهد أن لا إله إلا الله . وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله .القائل :

« **لا يدخل الجنة نمام** » [1] . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين صانوا ألسنتهم من الغيبة والنميمة وفضول الكلام ، وعافت نفوسهم أكل لحم إخوانهم عملا يقول الله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [2] .

أيها المسلمون : إننا نلتقى كل جمعة هذا اللقاء الذى يباركه الله فى السماء فيرسل ملائكته لتظللنا بأجنحتها وتدعو لنا بالقبول .وان لهذا الاجتماع غاية وللحديث فيه غرض أهم ، وأمانة أعم ، غرضه أن نتفقه فى الدين ، وذلك هو الخير « **من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين** » [3] .

والأمانة هى أن هذا الدين أمانة الله فى أعناقنا فأداء الأمانة واجب وفرض حتم ، وعلى هذا كان حديثنا دائما عن أشياء مهمة جدا فى حياتنا ومجتمعنا ، وأهم من ذلك أننا نفهم ذلك ونعمل به لأن سماعك لهذا الكلام سجل عليك حجة عند الله .

---

* ألقيت فى كرم البلد يوم ١٩٦٦/٣/١١م .

(١) رواه أحمد فى مسنده عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -

(٢) سورة الحجرات . الآية رقم ١٢ .

(٣) رواه البخارى عن معاوية .

واننى أشكر الإخوان الذين اهتموا بهذه الأحاديث وهم يطلبون المزيد منها ، وهم الذين يطلبون أن نتحدث فى مواضيع هم طالبونا بها .

جماعة المسلمين : لقد من الله علينا معشر أمة محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بأفضل نعمة فى هذا الوجود ألا وهى نعمة الأخوة الإسلامية التى قال الله جل جلاله فى قرآنه عنها : ﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

هذه هى النعمة الكبرى ، نعمة الأخوة والرابطة الإسلامية ، ولقد عملت شريعة الإسلام على صيانة هذه الأخوة والرابطة الإسلامية ، لقد عملت شريعة الإسلام على صيانة هذه الأخوة من عوامل الانحلال والانفصام والتقاطع والخصام أو ما يفكك رباطها أو يحل أواصرها أويهدم من كيانها . وليس هناك شئ أخطر على هذه الأخوة يفكك رابطتها ويقطع أواصرها من الغيبة والنميمة ، فحديثنا اليوم عن العوامل التى تهدم صرح الأخوة الإسلامية وتبعثر شملها ، وتفكك وحدتها ، وتجعل للخصومة بابا مفتوحا ، وللتقاطع والتدابر خصلة غير ممدوحة .

العامل الأول :

احتقار الناس : بمعنى احتقار المسلم لأخيه المسلم والاستخفاف به والتعالى عليه والسخرية منه .

---

(١) سورة آل عمران . الآية رقم ١٠٣ .

وفى ذلك يقول الله ـ جل جلاله ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١).

هذه الآيات البينات الواضحات تأمرنا بما يصلح الأخوة الاسلامية وتنهانا عن أشياء تهدم صرح الأخوة وهى : السخرية ، واللمز ،والتنابز بالألقاب هذه خصال كفيلة بأن تجعل من يرتكبها سكينا حادة تقطع أواصر المسلمين بما فيها من الأثر السئ فى نفوس الناس وما تخلفه من ضغائن وأحقاد .

العامل الثاني :

الغيبة : التى قال الله فيها ﴿ وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٢).

هنا سؤال مهم لابد منه : ماهى الغيبة ؟

الجواب : هى ذكر المسلم بما يكره أن يسمعه سواء كان ذلك وهو غائب أو حاضر ، حتى ولو كان الذى تقوله فيه . وكيف ذلك ؟ بمعنى ألا تقول كلاما فى أخيك المسلم هو يكره أن يسمعه منك فى المحل الذى ذكرته فيه ، ربما صديق يقابل صديقه ويقول له وهم على انفراد وهو ناصح له : يا أخى لماذا تشرب الخمر؟ إنها كذا ، وكذا على شرط أن يكونا على انفرادعلى

---

(١) سوة الحجرات ، الآية رقم ١١ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية رقم ١٢ .

نية النصيحة والتوجيه . أما إذا واجهته بهذا فى مجتمع وهو حاضر أو غائب وإن كان فيه فأنت آثم ، والغيبة المباحة لها شروط ، مباح لكل مسلم أن يتحدث بكل صراحة وأمانة فى العلن أو الغيب إذا سئل عن هذه الأشياء :

- فى المعاملة المادية .
- فى المصاهرة .
- فى الأمانة ، والحفظ ، واليتيم .
- فى الوطنية ، والمجلس ، والبرلمان .
- فى الدين ، والأمانة ، والخلافة .

هذه هى الغيبة . وقد تحدث عنها الله - تعالى - ووصفها بأنها أكل لحم الإنسان ميتاً :

وجاء فى الخبر أن امرأتين صامتا على عهد الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستأذنانه فى الإفطار فأرسل إليهما قدحا ، وقال الرسول إليهما : قل لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا ، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « هاتان صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا على ما حرمه الله عليهما قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم » [1] .

والرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « **لما عرج بى**

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده

مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » [1].

والعامل الثالث : النميمة وهى نقل الكلام بين الناس بغرض الفتنة وإثارة البغضاء والكراهية والتقاطع . وفيها يقول الله - جل جلاله - :

﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [2].

وعلاج هذه الخصلة الذميمة حدثنا عنه سيدنا عمر بن عبد العزيز - الخليفة الصالح - رضى الله عنه : قالوا : دخل عليه رجل فتحدث له عن رجل آخر حديثا فيه نميمة ، فقال له عمر : إن شئت حققنا فى أمرك ؛ لأن الله - تعالى - قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [3].

فكل خبر فيه نميمة يجعل قائله فاسقا ، وإذا حقت عليه فإنه مشاء بنميم ، وجاء فى الأثر : الحديث أمانة - مهما كان ذلك ، كل مسلم حرام عليه أن يستمع إلى نمام ، وهى كما قلت نقل هذا إلى هذا ، والنمام والمستمع مشتركان فى الإثم ، وعلى هذا حرام أن تذكر أخاك المسلم بشئ يكره ، حرام أن تسخر منه وتعيبه ، وحرام أن تسميه باسم هو يكرهه ، وحرام أن تنقل حديثه الذى تحدث به معك ، وحرام أن تستمع إليه .

العامل الرابع : الظن وهو التهمة دون دليل ، أو الاستماع و الاعتقاد بالإشاعة الكاذبة . والرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عن أنس - رضي الله عنه - ، ورواه أبو داود فى سننه عنه أيضاً .

(٢) سورة القلم ، الآية رقم ١١ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية رقم ٦ .

يقـول « **إياكم** » أحذركم « **والظن فإن الظن أكذب الحديث** » [1].

العـامل الخـامس : التجسس وهو تتبع عورات الناس وأعمالهم والاستماع إلى حديثهم حرصا على سماعه . والرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول :

« **ولاتجسسوا** » .

العـامل السـادس : الحسد . وهو تمنى زوال نعمة الله من الإنسان واستكثارها عليه . ولقد استعاذنا الله من الحسد . فقال ـ جل جلاله ـ :

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [2].

وهذا الحسد يقول الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيما معناه :

« **إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** » [3] .

والحسد أقبح خصلة تأكل صاحبها لأن ناره حامية ملتهبة ، وإن الحاسد إنما يعارض الله فى تصرفاته وإرادته ولله ملك السموات والأرض .

وكل هذه الخصال هى مزرعة للتدابر والتباغض والتنازع ، اسمعوا إلى حديث معلم هذه الأمة الخير وأستاذها وطبيبها يقول: ثلاثة لايسلم منها أحد ١ ـ الطيرة ٢ ـ الظن ٣ ـ الحسد ، قيل : فما المخرج منهن يا رسول الله ؟ قال :

« **إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا**

---

(١) رواه الترمذى فى سننه من حديث الحسن ـ ﷺ ـ ورواه الدارمى فى سننه عنه أيضاً .

(٢) سورة الفلق . الآية رقم ٥ .

(٣) رواه أبو داود وابن ماجة عن أبى هريرة ـ ﷺ ـ

حسدت فلا تبغ » . لاتؤذى . ذكرت لكم ستة أشيئا تقطع رباط الأخوة الإسلامية وشرحت لكم أضرارها وعلاجها . وأختم حديثى بهذا الحديث الذى هو الدواء الناجع لعلاج هذه الأمراض الستة :

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « **من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه** » [1] .

وقال الحسن - رضى الله عنه - « **من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه** »

إخواني جماعة المسلمين :

لعل هذه تكون جمعة الوداع ، وإن شاء الله تعالى عندى نية الحج هذا العام . ربنا يتمم .

فالسماح والعفو والدعاء هو أجرى عندكم . والله أسأل أن يجمعنا فى ساعة خير ويجعلنا من المقبولين السعداء .

إن شاء الله . آمين .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه ، وابن ما جة عن الحسين بن على - رضي الله عنهما - .

التحذير من الغيبة والنميمة

الحمد لله الذى حرم الجنة على النمام .

وأشهد أن لا إله إلا الله . جعل الغيبة والنميمة من الأخلاق الذميمة . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله . قال : « لايدخل الجنة نمام » . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين صانوا ألسنتهم من الغيبة والنميمة ، وعافت نفوسهم أكل لحوم إخوانهم كما حرم الله ذلك فى محكم كتابه .

أيها المسلمون : لقد من الله علينا نحن معشر أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بأفضل نعمة فى هذا الوجود ، ألاوهى نعمة الأخوة الإسلامية . والتى قال عنها الله جل جلاله فى قرآنه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

(١) سورة آل عمران (١٠٣ - ١٠٤) .

الاعتصام هو التمسك والاتباع ، وحبل الله القرآن شريعة الإسلام ، (جميعا) أيها المسلمون (ولاتفرقوا) ، ودائما تذكروا نعمة الله عليكم ، نعمة الأخوة الإسلامية ، فقد كنتم أعداء فى الجاهلية ، وهذه العداوة والبغضاء تسوقكم إلى النار ، ثم ناشد المسلمين أن يدعوا إلى الخير ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ثم وصف كل مسلم يهتم بأمر الإسلام والمسلمين ويدعو إلى الخير بأنهم مفلحون .

أيها المسلمون : إن هذه الأخوة أمانة فى عنق كل مسلم ، ولذلك عملت شريعة الإسلام على صيانة هذه الأخوة بكل تشريع يكفل لها السلامة والصيانة من كل ما يفكك من رباطها ، أو يحل من أواصرها ، أويهدم من كيانها وليس هناك شئ أضر على هذه الأخوة يفكك رابطتها ويقطع أواصرها من الغيبة والنميمة .

فالغيبة شر خصلة ذميمة ، سكينة حادة تقطع أواصر الأخوة ، وتفرق بين وحدة المسلمين بما لها من أثر سئ فى النفوس ؛ نسمع كلام الله فيها : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

إن الله - سبحانه وتعالى - يشبه المغتاب لأخيه وهو غائب بمن يحفر قبر من هو ميت فيأكل من لحمه ، وهذه صورة تعافها النفوس الكريمة ، وتأباها العقول السليمة ، ولاترضاها الأخلاق القويمة .

والرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول «**لما عرج بى مررت**

---

(١) سورة الحجرات . الآية ١٢ .

بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم »[1].

فانظروا أيها المسلمون كيف عاقبهم الله بما يشبه فعلتهم القبيحة ؛ فقد كانوا يجرحون أعراض الناس بألسنة حداد من خلفهم ، فانتقم الله منهم بخمش وجوههم وصدورهم بأظفارهم النحاسية .

والحديث عن الغيبة والنميمة كثير وطويل ، ولكن علينا أن نعلم ما هى الغيبة ؟

الغيبة أيها الأخوة كما عرفها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إنما هى : « **ذكرك أخاك بما يكره. فلما قيل له : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته** »[2]. أى أن تعداد عيوب أخيك المسلم كأنه عدوُّك تريد تنقيصه واحتقاره والازدراء منه هو الغيبة ، فهى من أعظم المعاول خطرا فى هدم العلاقات الإيمانية ، والصلات الإسلامية ، والوشائج الروحية التى تربط بين المسلمين برباط متين جعله الله - تعالى - من أقوى الروابط وسمى هذه العلاقة « أخوة » أى لها من الاحترام والتوقير والحب والود ما لأخوة النسب والرضاع بل وزيادة ، فتأتى الغيبة على هذه الصلة فتدمرها ؛ لهذا كان الوعيد عليها من الله - عز وجل - شديدا ، وعقابها أليما ، وقد شبه النبى - صلى الله عليه وسلم - المغتاب بمن يمزج الدم المسفوح من اللحم النيئ الميت بماء

---

(١) رواه أحمد وأبو داود عن أنس - رضي الله عنه -

(٢) رواه أحمد فى مسنده ، ومسلم فى صحيحه وغيرهما عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

البحر ، وللعجب أنه يفوق على ماء البحر رغم كثرته واتساعه ، لهذا لما أشارت السيدة عائشة - رضى الله عنها - بيدها إلى صفية - رضى الله عنها - تعنى أنها قصيرة ؛ حين قالت حسبك من صفية كذا وكذا ، تقصد قصرها ، فما كان من المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - ليترك هذا الموقف دون أن يبين منه التشريع السليم والمنهج القويم فى ضرورة التنفير من الغيبة وزجر مقترفها مهما كانت مكانته ، فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - للسيدة عائشة - رضى الله تعالى عنها - «**يا عائشة ! لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»[1] . فما كان من الصديقة - رضى الله تعالى عنها - إلا أن استغفرت وندمت ، وعقدت العزم على عدم العودة لمثل هذا القول .

أيها الأخوة المسلمون

إن مصيبة اللسان عظيمة حين يتركه صاحبه يقع فى أعراض الناس بالغيبة والنميمة ، وإفساد المجتمع ، وإتلاف العلاقات الطيبة التى تكون بين أفراد أمة الإسلام ؛ لهذا صح فى الأثر أنه فى صبيحة كل يوم تنادى الأعضاء كلها اللسان ؛ تقول له : « إتق الله فينا يا لسان ؛ فإنما نحن بك ؛ إن استقمت استقمنا ؛ وإن اعوججت اعوججنا » . والغيبة توغر الصدور ، وتغير النفوس ، وتفت فى عضد الأمة ؛ وكيف لا وقد قال - صلى الله عليه وآله وسلم - ذات مرة لأصحابه : « **لايبلغنى أحد من أصحابى عن أحد من أصحابى شيئا ؛ فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر** »[2] . إن ترك المسلم للغيبة دليل على سلامة إسلامه ، وقوة إيمانه ، وصدق يقينه ؛ فالنبى -

---

(١) رواه أبو داود فى سننه عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -

(٢) رواه أحمد والترمذى وغيرهما عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -

صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » .

والغيبة تفضح ما يحب الله - تعالى - ستره من زلات المسلمين وعثراتهم ؛ فحسب المغتاب أنه عدو للإسلام والمسلمين ، يكشف عوراتهم التى أمر الله - تعالى - بسترها ، والنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبّع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته** »[1] والمغتاب أيها الأخوة : إنما يضر نفسه ، ويؤذى ذاته ، وينال من دينه ، ويقضى على حسناته حين يترك للسانه العنان يرتع فى أعراض الناس ؛ لذلك حذرنبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - منها أشد التحذير، ونفر عنها أعظم التنفير مبينا قبحها ووخيم عاقبتها فى الدار الآخرة ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : « **إياكم والغيبة ؛ فإن الغيبة أشدمن الزنا ؛ فإن الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله - سبحانه - عليه ، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه** » أى من اغتابه [2] .

لذلك تحرج منها سلفنا الصالح واجتنبوها ، وحذروا الناس من خطرها قال الحسن البصرى - رضى الله عنه - : « **والله للغيبة أسرع فى دين المؤمن من الأكلة فى الجسد** » .

وقد قيل للإمام أبى حنيفة - رضى الله عنه - « لا نراك تغتاب

---

(١) رواه أحمد وأبو داود عن أبى برزة الأسلمى - رضي الله عنه -

(٢) شعب الإيمان - باب تحريم أعراض الناس - عن أسباط بن محمد عن الحسن بن قزعة الباهلى .

أحدا ؟! فقال : لو كنت مغتابا لأحد لا غتبت والدىَّ لأنهما أحق بحسناتى » .

بل إن الحسن البصرى - رحمه الله - كان إذا بلغه أن أحدا اغتابه أرسل إليه بهدية ، واستصغر هذه الهدية مهما عظمت لأنها لا تكافئ الحسنات التى ينالها فى الآخرة، ويقول لمن اغتابه : لقد أهديت إلينا أنت أعظم من هذا ، وهو أسلوب غاية فى الوعظ والزجر لايملك صاحبه منه انفلاتا .

يقول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « **من ردعن عرض أخيه رد اللهعن وجهه النار يوم القيامة** » [1].

وعنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : « **التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لاذنب له** » .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ورضى الله عن سلفنا الصالح الذين كانوا يراقبون ربهم قبل كل فعل ومقال ، فأصلح اللهلهم الأحوال ،وبلغهم الآمال ، وبشرهم بالسعادة والسلامة فى الحال والمآل .

أما بعد فيا إخوة الإسلام :

فإن المغتاب إذا لم يجد من يسمع له فسوف يقلع عن الغيبة ؛ لذا وجب على كل إنسان أن لا يغتاب أحدا ولا يسمع لمغتاب ؛ ففى الحديث

---

(١) رواه أحمد والترمذى عن أبى الدرداء - رضي الله عنه -

الشـريف : « **إذا كنت فى ملأ ووقع فى رجل فكن للرجل ناصرا وللقوم زاجرا وقم عنهم** » . أى أفهمهم ؛ وإن لم يستجيبوا فاعتزلهم ، فلو فعل كل إنسان ذلك ما وجد المغتابون مجالا لغيبة ؛ خاصة أن الإنسان مسئول عن سمعه وبصره ولسانه وقلبه .

قـال تعـالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (١) .

قال ابن عمر رضى الله عنهما ـ نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن الغيبة ، وعن الاستماع إلى الغيبة ؛ فالسامع شريك القائل ؛ مادام قد قبل قوله ولم يرده .

يروى أن أحد الصالحين الأتقياء دخل مسجدا فرأى جماعة يغتابون شخصا فنهاهم ، وبعد أن خاضوا فى حديث غيره عادوا إلى ما كانوا عليه فأنصت لهم ، ثم نام ، وبينما هو نائم إذ رأى رجلا أحضر له طبقا فيه لحم منتن ؛ فقال له : كل كما كنت تأكل لحم أخيك ، فقال : إنى لم أقل شيئا ، فقال له : ولكنك سمعت ورضيت ؛ فأنت شريك لهم ، وأخذ قطعة من اللحم ، ودسها فى فمه ، ثم استيقظ وأثرها فى فمه ، وقال : والله ما أكلت طعاما ، ولاشربت شرابا أربعين يوما إلاوجدت نتن هذه الجيفة فى فمى .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وأموالنا من الربا، وعيوننا من الخيانة ، وألسنتنا من الكذب والغيبة والنميمة .

اللهم عافنا واعف عنّا ، وعلى طاعتك أعنا ، ومن شرور خلقك سلمنا وعلى غيرك لا تكلنا .

---

(١) سورة الإسراء . الآية ٣٦ .

التحذير من اليمين الغموس

الحمد لله. المطلع على ما فى الضمائر علام الغيوب .

وأشهد أن لا إله إلاالله . العليم بخائنة الأعين وما تخفى القلوب.

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله . المطهر من الذنوب ،المبرأ من العيوب. الداعى إلى الإخلاص والمراقبة فى كل الأمور .صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين صفت نفوسهم وذكت قلوبهم فعاشوا إخوانا متحابين وأصدقاء متعاونين ، وجيرانا مسالمين . رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه .

يقول الحق - جل وعلا - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

حكم من حكم الله ، جاء فى كتاب الله ، تعالوا بنا نعرف نصه وأمره.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾

أولئـــك :

- لاخلاق لهم فى الآخرة .

- ولا يكلمهم الله .

---

(١) سورة آل عمران . الآية ٧٧ .

- ولا يزكيهم.

- ولهم عذاب أليم .

أيها المسلمون : الله رب العالمين ، والحاكم فوق الخلق أجمعين .

إن صفات الشر وخصال السوء ما وجدت فى قوم إلاكانوا أهلا لغضب الله وسخطه ، فاستحقوا الشقاء فى الدنيا والآخرة ،ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، وإن أشنع الخلال وأقبح الصفات ما اعتاده الناس اليوم من الحلف بالله كذبا حتى تعودوه وألفوه وتغلغل فى قلوبهم حتى أحبوه فسكتوا ولم يحاربوه ، ألا وإن أعظم الأيمان الكاذبة إثما وأكثرها ضررا وأكبرها جرما تلك اليمين الكاذبة التى يحلفها الإنسان ليقطع بها حق امرئ مسلم .

يحدثنا عبد الله بن عمر : « **أن أعرابيا جاء إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ما الكبائر ؟ فقال : الإشراك بالله . قال : ثم ماذا ؟ قال : اليمين الغموس . قلت : وما اليمين الغموس ؟ قال : الذى يقطع حق امرئ مسلم . يعنى بيمين هو فيها كاذب** » [1] .

فما أقبحها من حليفة ، ساقت صاحبها إلى الفضيحة ، وغمسته فى النار جمع الحالفون بها الكذب والاستهانة بالله ، وأكل أموال الناس بالباطل غير مراعين لمولاهم حرمة ، ولا لعباده ذمة .فهؤلاء أبغض المذنبين عند الله ، وهم الذين باعوا جنة عرضها السموات والأرض بدراهم لا تغنى من الفقر ولا تشبع من جوع ، فليس لهم فى الآخرة من نصيب ، هؤلاء هم الذين لا

---

(١) رواه البخارى والترمذى عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -

يكلمهم الله يوم القيامة كلاما يرضيهم بل كلاما يسوءهم فى ذلك الموقف الرهيب .

وقد حذر الإسلام الحنيف من كل كلمة يشوبها الكذب كما قال ـ عليه الصلاة والصلاة والسلام ـ « **تحروا الصدق ولو رأيتم الهلكة فيه فإن فيه النجاة** » .

فكيف بمن يؤكد الكذب بالأيمان بالله فقد جمع رذيلتين إحداهما أشد من الأخرى ؛ فقد كذب وهو بذلك غاش خائن مخادع ؛ فضلا عن استهزائه باسم الله ـ عز وجل ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فاسم الله ـ عز وجل ـ عظيم لا ينبغى أن يحلف به مطلقا لا بصدق ولا كذب إلالضرورة ملحة أو مصلحة محققة . قال ـ سبحانه ـ : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقبح على كثير الحلف حلفه وإن كان صادقا ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ (٢) .

فقد قالوا فى ذلك : كفى بالله رادعا لمن كثر حلفه وإن كان صادقا فإذا كان الحلف غير مرغوب فيه أصلا لئلا يعترض به شئ من أعمال الناس؛ فكيف بمن يحلف كاذبا ؟! ولما أكل آدم ـ عليه السلام ـ من الشجرة التى نهى عن الأكل منها عاتبه ربه فى ذلك . فقال : يارب ماكنت أظن أن أحدا يقسم باسمك كاذبا ؛ فقد حلف الشيطان لآدم وحواء بيمين غموس .

---

(١) سورة البقرة . الآية ٢٢٤ .

(٢) سورة القلم . الآية ١٠ .

قال تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (١) .

والكذب علامة على النفاق ، قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان** » (٢) .

وإذا نظرت إلى مابعد الكذب رأيته كذبا أيضا ؛ فإن خلف الوعد مع التعمد كذب ، كما أن الخيانه من أبشع أنواع الكذب ، فالحالف بالله يمينا على الكذب جمع إلى النفاق الكفر بالله - تعالى - لو قصد إليه أولم ينتبه إليه ، وذلك أن الكذب دلل على النفاق ، وأن الحلف بالله والاستهزاء باسمه دل على عدم تعظيم اسمه - تعالى - وهذا مناقض للإيمان ، روى مالك بسنده أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « **سئل : يارسول الله : أيكون المؤمن جبانا ؟**

قال : نعم .

قيل : أيكون المؤمن بخيلا ؟

قال : نعم .

قيل : أيكون المؤمن كذابا ؟

قال : لا . لا يجتمع الإيمان والكذب فى مؤمن أبدا .

وتلا « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » (٣) .

---

(١) سورة الآعراف . الآية ٢١ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

(٣) رواه مالك فى الموطأ عن صفوان بن سليم - رضي الله عنه -

فإذا كان الكذب وحده مذموما فكيف إذا جمع معه الحلف بالله ـ تعالى ـ عليه فهذا إصرار على الكذب ، وتعمد وتبييت ، إضافة إلى الاستهزاء باسم الله ـ عز وجل ـ والمتعرض لهذا أيها المسلمون قبيح خاسر خائب ، وإن ظن أنه رابح ؛ بل وإن ربح بذلك الدنيا كلها . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

فمهما جمع من حطام الدنيا بسبب هذا اليمين فهو قليل وإن حاز الدنيا كلها لاستهزائه باسم الله ، فغالبا ما يكون الباعث على الحلف الكاذب حب الدنيا بجمع الأموال الحرام ، أو الانتصار للنفس بغير حق ، فليحذر كل مسلم هذا ، وليكتف بما رزقه الله حلالا طيبا ، ولينصف الناس من نفسه مراعيا حرمة ربه، وعظمة خالقه حتى لا يحرم نظر الله إليه بعين الرحمة بسبب عرض زائل أو خيال باطل ، وفى الأثر : « **من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال أحد لقى الله ـ عز وجل ـ وهو عليه غضبان** »[2] .

وأكثر من يقع فى هذا الشؤم وهذه المعصية التجار طمعافى الدنيا ، وجمعا للحرام ، وفى الأثر : « **ثلاثة يشنؤهم الله ـ تعالى ـ أى يبغضهم : التاجرالحلاف ، أو البائع الحلاف ، والفقير المختال ، والبخيل المنان** » .

روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال

---

(١) سورة آل عمران . الآية ٧٧ .

(٢) رواه البخارى عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ .

رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ « **ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم . قلت: يا رسول الله من هم ؟**

قال: خابوا وخسروا . قال : وأعادها رسول الله ثلاث مرات .

قال: المسْبل ـ يعنى المسبل إزاره الذى يجرطرفه خيلاء ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمنان » .

ومهما كان الشئ المحلوف عليه ضئيلا وقليلا ؛ فالعقوبة واحدة ؛ لأن المدار على تعظيم الله ـ تعالى ـ وقد انتفى التعظيم باقتراف صاحبه الحلف الكاذب ، روى الأئمة عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « **من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة .**

فقال له رجل : وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟

قال : وإن كان عودا من أراك » [1] .

والسبب فى نزول الآية كما قال العلماء أن الأشعث بن قيس قال : كان بينى وبين رجل من اليهود أرض فجحدنى ، فقد مته إلى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال هل لك بينة ؟ قلت : لا .

فقال لليهودى : احلف .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى أمامة ـ رضي الله عنه ـ

قلت : إذاً يحلف فيذهب بمالى .

فأنزل الله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

فاتقوا الله أيها الاخوة المسلمون ، وراقبوا ربكم فى أقوالكم وأفعالكم ، وكونوا مع الصادقين .

أقول قولى هذا . وأستغفر الله لى ولكم ، ولسائر المسلمين .

---

(١) سورة آل عمران . الآية ٧٧ .

الولاية والأولياء *

الحمد لله خلق فسوى ، وقدر فهدى .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له له الكمال المطلق وله الأسماء الحسنى ، لاتدركه العقول ، ولايحده مكان ، وكان الأول قبل كل شئ والآخر بعد كل شئ.

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾(١) .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد بن عبد الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، الداعى إلى الحق والهادى إلى سواء السبيل .

صلى الله عليه وسلم صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد ياذا الخلق العظيم .

وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين وعن أوليائك الصالحين وعن العلماء العاملين وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعـــد

إخوة الإيمان :

يقول الحق - سبحانه وتعالى -: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

* أُلقيت بمسجد الإمام الجعفرى بالقاهرة فى ١٩٨٥/٣/٢٩م

(١) سورة الزخرف الآية (٨٤)

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1]

عباد الله ..

الولى هو من تولى أوامر الله - عز وجل - بالطاعة فتولاه الله - عز وجل - بالرعاية والعناية ، عبد الله حق عبادته مخلصا لوجهه الكريم ، فأدى ما افترضه الله عليه حبا فى الله وتقربا إليه ، وزكى نفسه وطهر قلبه من شواغل الدنيا والرغبة فيها زاهدا فى مغرياتها ومفاتنها ، فشغلته العبادة عن الأغراض والأهواء ، طهر قلبه من كل وسواس خناس وحفظ لسانه عن أعراض الناس ، فلاغل ولاحسد ولاحقد ، بل رضى بقضاء الله ، وشكره على نعمه الجزيلة فيما أعطاه وفيما ابتلاه - فالنعمة عنده ابتلاء والابتلاء عنده نعمة - مفوضا أمره إلى الله فى حالتى اليسر و العسر ، وفتح قلبه لحب الناس جميعا ، وأصبح وأمسى وهو يفعل الخير ابتغاء مرضاة الله - عز وجل - لايرائى ولا يتكبر، إنما الإخلاص مبدؤه والتواضع شيمته ، و بذلك دخل فى حظيرة الولاية، وهى علامة الرضا والقبول ؛ لأن حب الله غلب عليه ، فقمع شهوته وألجم نفسه الأمارة ، ولسان حاله يقول: « إلهى ما عبدتك طمعا فى جنتك فتلك عبادة التجار ، ولا خوفا من عقابك فتلك عبادة الرقيق ، ولكنى عبدتك حبا لذاتك ، وطمعا فى رضاك ، فإن كنت يا إلهى ترضى عنى فرضنى برضاك وأسعدنى بهداك ووفقنى لطاعتك ، وجنبنى معصيتك ، وإن لم يك بك غضب على فلا أبالى ، فما قدرته على فهو قدرى فى الحياة ، غير متبرم منه تسليما لإرادتك ويقينا برحمتك فارحمنى إذا أعطيت ، وارحمنى إذا

(١) سورة يونس الآيات من ٦٢ إلى ٦٤ .

ابتليت ، فشكرى على نعمائك هو شكرى على ابتلائك .

تلك هى سمات الولاية . وذلك لأن من أحب الله مخلصا لا يفعل المعاصى أبدا ، يفر منها ، وإن وقع فيها ندم وذكر الله - تعالى - واستغفره مما كان ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

فطاعة الله - تعالى - مظهر من مظاهر حبهم لله .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وإن حب أولياء الله قرب إلى الله - عز وجل - لأن النفس تسر برؤيتهم، ويتذكر الإنسان ربه بهم ، ذلك لأنهم أسعد خلق الله بطاعة الله ، فإن الطاعة تكسب المرء بهاء ، وتضفى عليه أنوارا ، وتزين ظاهره وتطهر باطنه ؛ فيرى الناس فيه آثار الولاية وعلامات الصلاح ؛ فيحبه الناس بحب الله له .

وإن الله إذا أحب عبدا اصطفاه ، وإذا اصطفاه اجتباه وحبب فيه خلقه ، فتراه هادئ البال ، ميسور الحال ؛ لذلك يقول بعض العارفين : « أقبلنا على الله فأقبلت الدنيا علينا ، وطلبنا رضا الله فزاد المال فى أيدينا ، فمن أراد السعادة فعليه بالعبادة ، ومن أراد الدنيا فعليه بالطاعة ، ومن أراد السيادة فعليه بالزهد »

---

(١) سورة آل عمران . الآية (١٣٥) .

وقوام ذلك كله الإخلاص فى العبادة ، والشكر للزيادة ، والاعتزاز بعزةالله زهدا فيما سواه ، فلا هم ولا غم ولا فرح ولاحزن ، بل تسليم بقضاء الله وقدره ، وبالتوكل على الله تحظى بما تريد ، فأنت فى دائرة ملكه عبد من العبيد ، والسيد لا يهمل عبده فبقدر طاعته تحظى بإحاطته، وكل ما قدره نافذ رضيت أم أبيت ، فبالتوكل عليه تحظى بالقرب منه ، اعتزازا بعزة الله ، فعزة الله فى نفسك تحجبها عن الصغائر ، فتتكبر على شهواتها و أطماعها ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

والولى تتمثل فيه الطاعة ، وفى رؤيته تذكير بالله ؛ لأنه إذا نودى بالصلاة أقامها وصلاها ، وإذا قضاها اتجه إلى عمله إيمانا برزق الله له ، فأحسن العمل وأتقنه وجوده ، فالإحسان فى العمل مصدر الإحسان فى الجزاء ، وهو ثمرة الإخلاص والإخلاص ثمرة الإيمان ، فبقدر الإحسان يكون الإحسان ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ (٢). ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (٣).

عباد الله

السوق رابحة ، والسلعة غالية ، والعملة نادرة حب ا لله وحب أولياء الله ، فمحبتهم من محبة الله ، يقول الإمام الشافعى - رضى الله عنه -:

أحب الصالحين ولست منهم ... لعلى أن أنال بهم شفاعة

وأبغض من تجارتة المعاصى ... وإن كنا سواء فى البضاعة

---

(١) سورة المنافقون . الآية ٨ .

(٢) سورة الرحمن . الآية ٦٠ .

(٣) سورة النحل ، الآية ١٢٨ .

فحبهم يجعلنا لا نتكلم فى حقهم إلا بالحق ؛ لأنهم فى حفظ الله ، والله يدافع عنهم ، ولنعلم جميعا أن الله - عز وجل - لم يعلن الحرب إلاعلى شخصين : شخص يأكل الربا ويتعامل به ، ويرضى بانتشاره ومداولته بين الناس ، وشخص آخر يعادى الأولياء الأتقياء ويكرههم ويشيع عنهم الكذب والبهتان ، ويروج عنهم الإشاعات ، وينفر عنهم الناس ، ويقلل من شأنهم وينكر عليهم كرامة الله لهم ، فآكل الربا يقول الحق - عز وجل - فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١) .

وفى الحديث القدسى عن رب العزة - عز وجل - يقول :

« **من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب** »

فالذين يحاربون الأولياء و الصالحين إنما يحاربون الله والله يحاربهم، فأى نصر يحرزونه مع الله القوى العزيز ؟! فالهزيمة مآلهم ، والدمار وبالهم ، والخسران غنيمتهم .

عباد الله

اتقوا الله فى أوليائه ومن خصهم بعطائه ، وتعرفوا عليهم من أفعالهم وصدقوهم فى أقوالهم ، الحقيقة طريقتهم ، والشريعة عملهم ، وحب الخير للناس دأبهم ، وخدمة الناس شيمتهم ، ونور الإخلاص على وجوههم ، وأنيبوا إلى ربكم استغفارا لذنوبكم ، ورجوعا بنفوسكم ، وطهارة لقلوبكم ، إنه كان غفارا ؛ تنعمون فى الدنيا براحة البال ، ويسر الحال ، وهدوء السر ، واستقرار النفس ، واطمئنان القلب .

جاء أعرابى إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

---

(١) سورة البقرة . الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

فقال له : متى الساعة يارسول الله ؟ فقال له النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: وما أعددت لها ؟ فقال الأعرابىّ : ما أعددت لها كثير صلاة ولاصوم ولا صدقة. إلا أنى أحب الله ورسوله . فقال له رسول الله ـ صلى اللهعليه وسلم ـ : « أنت مع من أحببت » (١).

فالمحبة الخالصة لوجه الله الكريم ترفع صاحبها إلى درجات من أحب ، وتجعله معهم ، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

فإن أولياء الله لهم البشرى فى الحياة الدنيا : حب الله وثناء الملائكة واستغفارهم ، وحب الناس ، وذلك لأن الله ـ تعالى ـ إذا أحب عبدا دعا جبريل ـ عليه السلام ـ وقال له : إنى أحب فلانا فأحبه ؛ فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ؛ ثم توضع له أعلام القبول فى الأرض فيحبه الناس ويثنون عليه ، وألسنة الخلق أقلام الحق. وللأولياء فى الآخرة عند ربهم منزلة القرب من رب العالمين ، ينصب لهم يوم القيامة منابر من نور وهم فى ظل عرش الرحمن ، لا يفزعون إذا فزع الناس ، ولايحزنون إذا حزن الناس ، فمن أحبهم حشر معهم ؛ لأن المرء مع من أحب ، كما قال الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس** » (٢).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك .

(٢) عن سهل بن سعد الساعد ى ـ رضى الله عنه ـ قال : جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله وسلم ـ فقال : يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال : « إزهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس »
قال النووى: حديث رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة

« التائب من الذنب كمن لاذنب له ، والتائب حبيب الرحمن »

واسألوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل ، فهذه ساعة الإجابة فارفعوا أكف الضراعة إلى الله .

الخطبه الثانية

الحمد الله . كرم العلماء وفضلهم تفضيلا . فقال ـ عزوجل ـ :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلاالله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد بن عبد الله عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه وخليله . صلاتك اللهم عليه وملائكتك وصلاتنا صلاة دائمة بدوام الله العظيم ، تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد ياذا الخلق العظيم ، صلاة تنيرلنا الطريق ، وتفرج عنا كل كرب وضيق ، وعلى آله الأطهار ، وصحبه الأخيار ، ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (٢) .

أما بعد..

فإن العلماء ورثة الأنبياء بما ورثوه من علم النبوة وهديها ، فالدعوة إلى الله من العلماء دعوة التزامية ، فهم رسل الأنبياء ، يبلغون دعوتهم ،

---

(١) سورة الزمر . الآية ٩ .

(٢) سورة البينه . الآية ٨ .

وينشرون رسالتهم يبشرون وينذرون ، ويأمرون وينهون ، ويعلمون ويفقهون ، ويوجهون وينصحون ، تلك هى رسالتهم فى الحياة الدنيا ، فمن سلك طريقها وهدى بهدى الله ـ تعالى ـ كان من العلماء العاملين .

«لأن يهدى اللهبك رجلا واحدا خيرلك من حمرالنعم» (١) .

وللعلماء منزلة سامية عند ربهم ؛ لأنهم يخشونه عن علم بذاته ، فهم أهل الخشية ، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢) .

فحلقات دروسهم ، ومجالس علمهم روضة من رياض الجنة ، والكلمة فيها صدقة ، ولهم فى كل حرف أجر عظيم . تحيط بهم الملائكة وتظلهم بأجنحتها ، وهم القوم إذا جلسوا فى حلقاتهم ، وتحدثوا فى ندواتهم ، وعلموا فى مجالس علمهم ، استغفرت لهم الملائكة حتى الحيتان فى بحارها . فتكريم العلماء العاملين والأولياء والصالحين من تكريم الله ـ تعالى ـ لهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

والاحتفال بموالد أهل البيت والأولياء والصالحين والعلماء العاملين له مكانة سامية فى تاريخنا الإسلامى ، فهى أعياد الجماهير المؤمنة وأفراحهم الكبرى ، وهى المتنفس الكريم لعواطفهم وخواطرهم ، لأن تنفس هذه العواطف، ومثول هذه الخواطرفى موالد الصالحين غيرها فى احتفالات أخرى لاتحمل هذا المعنى ، ثم هى فى المقام الأول تذكرة وذكرى ، وهى تعبير عن وفاء صادق ، وحب أكيد لا تدفعة مصلحة دنيوية أوأغراض شخصية ، إنما

---

(١) الحديث رواه الطبرانى عن أبى رافع ونصه : « لأن يهدى الله على يدك رجلا خيرلك مما طلعت عليه الشمس » الجامع الصغير للسيوطى ص ١٢٨ . رواه البخارى

(٢) سورة فاطر . الآية ٢٨ .

هى لحظات فى رحاب الله مع أهل الله حبا وشوقا لأولياء الله ، وهى فوق ذلك صيحة عالية تذكر الناس بربهم وتذكرهم بنبيهم ، وتذكرهم بالأولياء الصالحين والعلماء العاملين ، الذين أحالوا الكون محاريب للعبادة .

ففى تكرار هذه الموالد وهذه الاحتفالات فى مواسم اتسمت بالخير والنفحات والبركات تزكية عالية وإعلاء لسيرة سطرها التاريخ بمداد من النور ، ووقف لها الدهر إجلالا وإكبارا وإكراما ؛ ففى سيرتهم ومناقبهم أسوة حسنة ، وقدوة صالحة ، نغترف من بحر معرفتهم ما يملأ قلوبنا نوراً نهتدى به فى ظلمات الحياة، ويهذب نفوسنا من شوائبها ، فلنا فى سيرتهم العبرة والعظةبما نلهم به من إيمان وتقوى .

وشيخنا الشيخ صالح الجعفرى - رضى الله عنه - كان عالمأمن علماء الشريعة الإسلامية ، وعلماً من أعلام الأزهر الشريف ، الذى قضى حياته فيه منذ أن وفد إليه طالباً للعلم فعالماً ومدرساً وإماماً وواعظاً ، فكانت حلقة درسه المشهورة عقب صلاة الجمعة بالأزهر الشريف جامعة إسلامية صوفية تعمقت فيها أصول الدين والشريعة علماً ، فكان منهجه القرآن ، وتعمقت فيها أصول روحانية التصوف تربية فكانت مظهرا للحقيقة الصوفية ، وكان منهجه « **أدبنى ربى فأحسن تأديبى** » [1] بما ورثه من هدى نبوى عظيم من الدوحة المحمدية الطاهرة نسبا ، العظيمة أثرا ، نفخ فيها الإيمان من روحه فخلصت خلوص الزهد والورع والتقوى والصلاح ، وسطعت سطوع الهدى ، وصفت صفاء الفطرةالتى تبلورت فيها محمدية الإسلام الموروثة ، وصوفية الصفاء الموهوبة ، فصار - رضى الله عنه - لسانا لهداية الخلق ، ففى دنيانا

(١) السيرة النبوية المحمدية المسماة بالأقمار النورانية - لسيدى الشيخ صالح الجعفرى - رضي الله عنه -

فجر للناس من ينابيع الحكمة وكنوز العلم والمعرفة وأسرار القرآن ، فجاء بالجديد والغريب من التفسير الذى لم يسبقه إليه سابق ؛ ذلك لأنه - رضى الله عنه - لم يكن يملك عقلاً مكتسباً ، إنما كان يملك عقلاً موهوباً ملهماً من الله - عز وجل - مقتديا برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فكان يعطى من كنوز عقله ، ومواهب فكره ، وفيوضات قلبه ، وروحانية روحه ، ومن إنسانية نفسه ، وكان يخاطب الخواطر والضمائر ، ويجيب على تساؤلات العقول، وهواجس النفس ، فكانت حلقة درسه جامعة إسلامية ، علمية المذهب، صوفية المشرب ، تربط بين الشريعة والحقيقة ، والظاهر والباطن ، والنفس والروح ، والعقل والخاطر ، فقد تأثر بمآثر النبوة نسبا الى الدوحة المحمدية الطاهرة بما ورث من علم ، وكما قال شيخنا فى كتابه « أعطار وأزهار » بما رواه عن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بإسناده : « **العلماء ورثة الأنبياء** »[1]، فما ورث الأنبياءدرهما ولا دينارا ، ولاضيعة ولاعقارا ، وإنما ورثوا علم الشريعة التى أوحيت إليهم من رب العزة - جل جلاله - فورثها العلماء يدعون بها ، ويبشرون لها ، فيفرون بدعوتها إلى طاعة الله ، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **رحم الله خلفائى . قالوا: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟ قال : الذين يأتون من بعدى يعلمون الناس سنتى** » ولذلك جعلت مجالسه كلها تدريسا وتعليما كما كان - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه يفعلون ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

---

(١) سنن أبى داود ، وسنن ابن ماجة من حديث أبى الدرداء - رضي الله عنه -

عباد الله

إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . فصلوا على نبيكم ، فالصلاة عليه ذخر وزاد ، ونور على الصراط ، وتكفر الخطايا وتقضى الحوائج .

اللهم صلِّ على مولانا وسيدنا محمد ذى القدر العظيم ، تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد ياذا الخلق العظيم ، وعلى آل نبى الله العظيم ، بقدر عظمة ذات الله العظيم ، فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم ، واجمع بيننا وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما ، واجعله يا ربنا روحا لذواتنا من جميع الوجوه، فى الدنيا قبل الآخرة يا عظيم .

اللهم إليك نرفع أكف الدعاء وهذه ساعة إجابة ، اللهم لاتدع لنا فى هذا اليوم العظيم ذنبا إلاغفرته ، ولاكربا إلا فرجته ، ولاعيبا إلا سترته ، ولادينا إلاقضيته ، ولا مريضا إلا شفيته ، ولاميتا إلارحمته ، ولا غائبا إلارددته ، ولاسائلا إلا أعطيته ولامظلوما إلا نصرته ، ولاظالما إلاخذلته ، ولامكسورا إلاجبرته ، ولاطالبا إلانجحته ، ولا عسيرا إلا يسرته ولاحاجة إلاقضيتها ، ونسألك اللهم بحق أهل البيت والأولياء والصالحين الذين آوتهم مصر أن تقيها من كل شر وفتنة ، وتحفظ أهلها وتوفق حكومتها للخير .

عباد الله

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكروالبغى يعظكم لعلكم تذكرون ، وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

مشروعية الاحتفال بالمولد النبوى الشريف *

الحمد لله . الذى مازال بالكرم معروفا ، وبالإحسان موصوفا ، سبحانه خص سيدنا محمدا بخصائص لم يفز بها أحد فى العالمين ، ومنحه مزايا لم ينلها قبله نبى من المرسلين .

وأشهد ألا إله إلا الله . له الحمد وله الشكر حيث جعلنا خير أمة أخرجت للناس ، وبعث فينا خاتم أنبيائه ورسله سيد الأولين والآخرين محمدا صلى الله عليه وآله وسلم .

الصلاة والسلام عليك يا سيدى يارسول الله ، النبى المصطفى ، والحبيب المجتبى ، وأمين الله - تعالى - على وحى السماء ، ورضى الله عن آلك أهل الصدق والوفاء ، وأصحابك أئمة الإخلاص ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم اللقاء . فى شفاعة من نسأل الله له الشفاعة فهو شفيعنا ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾ (١) .

اللهم شفعه فينا بحق لا إله إلا الله .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله .

---

* ألقيت بتاريخ ١٤/١٢/١٩٨٤م الموافق ربيع الأول ١٤٠٥هـ .

(١) سورة عبس . الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

أما بعـــد :

يا أمـة محـمـد ـ عليـه الصلاة والسلام ـ لنا البشائر فى شـهـر ربيع الأنورالمنور، الذى ولد فيه رسولنا الطاهر المطهر ، ولنا فيه وقفات فيها العبر والعظات ؛ لما فيها من العطايا والهبات .

وقفات ، عندما افترت ثغور الزمن عن أجمل بسماتها ، وتفتحت أكمام البشرية عن أنضج ثمراتها ، وأشرقت آفاق السماء بأضواء :

محمد بن عبد الله نجيب بنى هاشم ، وفتى قريش ، وفخر كنانة ، وسيد العرب ، وهادى العجم ، فتوالت بشرى الهواتف أن قد ولد المصطفى وحق الهناء ، وانسكب فى مسمع الدهر أعذب حداء لموكب الحضارة والإنسانية ، وأحلى نشيد فى تاريخ الوجود :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

الروح والملأ الملائك حوله للدين والدنيا به بشراء

فمظاهر الفضل والجلال والعظمة والجمال تحيط بهذا المولود من كل جوانبه ، فهو عظيم فى نسبه العربى المصطفى ، عظيم فى نشأته الفاضلة الكريمة ، عظيم فى خلقه الجميل المنور، عظيم فى خلقه الكامل المطهر .

يا أمة محمد عليه السلام :

لقد أجمعت كتب السيرة الصحاح بأصح رواياتها فى حدوث خوارق وإرهاصات قبل مولده وفى ليلة مولده إن دلت على شئ فإنما تدل على حدث عظيم له شأنه فى الكون ، وهى فى تعبيرنا لها ـ فى أصدق تعبير ـ احتفال واحتفاء بمولده ، ولا شك ولاجدل فى هذا المعنى .

فقد روت كتب السيرة أن ليلة مولده أضاء نور ملأ فجاج مكة حتى ظهرت قصور الروم وكنعان ، هذا النور الذى أضاء من الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعبر عن نور الإسلام الذى سيملأ الكون ويعم الأرض ، أضاء هذا النور ابتهاجا بمولده ، وتكريما لقدومه ، وإعلانا لبزوغ شمسه وإشراقها على الأرض.

ثم هناك علامات وخوارق أخرى منها : تصدع إيوان كسرى ملك الفرس ، وسقوط اثنتى عشرة شرفة منه إيذانا بانهدام دولة الكفر والطغيان، وخمود نار فارس التى كانوا يعبدونها ، وغيض بحيرة ساوة وكانت معبودة من دون الله .

وجاءت هذه الأحداث المرتبطة بعبادة البشر لغير الله إيذانا ببطلانها، وإعلانا ألا معبود إلا الله ، فقد جاء المبشر بدين التوحيد ولاإله إلاالله، لايعبدغيره ، ولا يقصد سواه ، فقد نكست الأصنام التى كانت تعبد حول الكعبة ، فما من صنم كان واقفا إلا ونكس على رأسه ، وفى هذا دليل على أن الكون تطهر من الآلهة المعبودة من غير الله ، فالعبادة لله وحده

كل هذه الخوارق التى تمت فى ليلة مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقدرة من الله ، والمعنى الحقيقى لهذه الظواهر الباهرة احتفال الكون بقدرة الله بميلاد رسول الله .

الأنوار تضئ ، والآلهة المعبودة غير الله تنكسف ويذهب عنها ما عبدت من أجله ، فقد أصبحت النار رمادا ، واليحيرة غورا ، والقصر مهدهدا ، والأصنام منكسة ، والشهب فى السماء تطارد الشياطين كأنها المفرقعات التى يطلقها الجيش فى الاحتفالات ، وكالصواريخ التى تحدث فى أعيادنا .

والسؤال : من الذى سخر كل هذه الأجرام أن تتحرك وأن تكون علامات وظواهر لمولده ؟ هو الله - جل جلاله - احتفالا بمولد رسوله - صلى الله عليه وسلم - تعالوا بنا نقس ذلك بما فعلناه نحن احتفالا بمولده .

كم لمبة أضأناها ؟ وكم شمعة أشعلناها ابتهاجا بمولده ؟ هل أضاءت ماحول ساحة المولد ؟ لقد سبقنا الله - سبحانه وتعالى - وأضاء فجاج مكة وما حولها بنور كشف إلى بلاد الروم ، أضاءها بنور ليلة مولده - صلى الله عليه وآله وسلم - إيذانا وإعلاما وابتهاجا .

عجبا لمن يسمع هذا القول ويقول : إن الاحتفال بالمولد بدعة !! وأى بدعة يعنى وقد جاء « كل بدعة ضلالة » ؟!

لقد ضل عقلهم عن القدر الرفيع ، وضل عقلهم عن تقدير تلك الليلة المباركة التى ولد فيها النبى - صلى الله عليه وآله وسلم -

لقد كرم الله - تعالى - يوم ولادة رسله ، ويوم الموت ، ويوم البعث مرتين ، وقال : حكاية عن لسان

عيسى - عليه السلام - : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [1] .

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [2] .

إذن . فليوم الولادة منزلة عند الله - تعالى - عبر عنها القرآن بالسلام من المولى - عز وجل - يوم ولد ، وسلام الله مدد لا نحصر مداه

---

(١) سورة مريم ، الآية ١٥ .

(٢) سورة مريم ، الآية ٣٣ .

ولامدلوله ولامعناه .

وقد أثبتت صحاح كتب الحديث التى روت عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يلازم صوم يوم الإثنين من كل أسبوع . فسئل فى ذلك فقال :

« **يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه** »[1].

ومعنى هذا أن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يحيى ذكرى مولده الشريف شكرا لله - تعالى - فى كل أسبوع مرة بالصيام .

وقد ذكرت كتب السيرة أن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - ذبح فى حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة بعدد سنى عمره الشريف .

يا أحباب محمد عليه السلام :

من مجموع ما ذكرت يمكن استنباط مشروعية إحياء الموالد لما فيها من الذكريات النافعة ، وبما فيها من تلاوة القرآن ، والوعظ ، والإرشاد ، والسيرة العطرة ، والمدائح والأذكار ، وبما فيها من أعمال تجارية اقتصادية ، وبما فيها من صدقات ، وتقديم الأطعمة التى تشارك فيها مجموعة خيرة من البيوت للفقراء والمساكين ومجموع المحتفلين ، وفى المولد فرصة للقاءات الروحية التى تعبر عن وحدة المسلمين وتكاملهم وتعاونهم ، فكم من ليلة احتشد فيها المحبون وتصافحوا ، وتسالموا ودعوا لبعضهم البعض .

كل ذلك هل انعدم الخير فيه ؟ !

أين يكون الخير إن لم يكن فى هذا ؟

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى قتادة الأنصارى - رضي الله عنه -

الإخوة المؤمنون :

هذه خواطر المولد أزجيها إليكم بعد أن نعمنا بها ، وعشنا فى رحاب سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى أيام المولد وبعده ، أيامنا ولحظاتنا وحياتنا مع المؤذن وهو يقول :

أشهد ألا إله إلا الله . وأشهد أن محمدا رسول الله .

فى صحيح البخارى عن عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبى - صلى الله عليه وسلم - : « **لأنت يا رسول الله أحب إلى من كل شئ إلا نفسى التى بين جنبى . فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه . فقال عمر - رضي الله عنه - والذى أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلى من نفسى التى بين جنبى . فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - الآن ياعمر** » [(١)] .

وعن المطلب بن أبى وداعة قال : « **كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يسند ظهره إلى جذع فى المسجد إذا خطب . فلما جعل له المنبر وجلس عليه خار الجذع خور الثور فأقبل عليه حتى التزمه فسكن الجذع** » [(٢)] .

فكان الحسن البصرى إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال :

« **يا عباد الله : الخشبة تحن إلى رسول الله - صلى الله**

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن هشام ، ورواه الحاكم فى المستدرك .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح . كما رواه الإمام أحمد وغيره .

عليه وسلم - شوقا إليه لمكانه من الله . فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله » .

وعنه - صلى الله عليه وآله وسلم :

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له . التائب حبيب الرحمن » .

الخطبة الثانيه

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله . خاتم الأنبياء والمرسلين . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

أما بعـــد :

لابد من وقفة إجلال وإكبار أمام سيد الأنبياء والمرسلين لنناجيه . ويسمع الدهر آيات العظمة والجلال .

سيدى يا رسول الله :

أستأذنك فى الدخول إلى رحابك الطاهر الشريف . ومناجاتك فى يوم مولدك وبزوغك فى هذا الوجود .. وأعتذر عن القلم إذا عجز أو قعد .. فلو كان البحر مدادا له لنفد البحر قبل أن تنفد فضائلك وشمائلك .

سيدى يا رسول الله :

بماذا أصف شخصيتك التى بلغت من الجلال مداه . ومن الوفاء ذراه ومن السمو منتهاه ؟

بماذا أصف بيانك وهو بحر لا تنفد معانيه ، ولا تنضب ما قيه ، وأفق لا تخبو دراريه ، وروض لا تذبل مجانيه ؟

بماذا أصف ملامحك وسماتك وأنت نور مجسد تضئ طريق العصور وتلقى على قوافلها نورا بعد نور ؟ .

سيدى يا رسول الله :

بماذا أقدر حقك قدره وأنت الأسوة للمؤمنين ، والقدوة الطيبة للعابدين ، والمثل الأعلى للأبرار والصديقين ، والمشعل الإلهى للحائرين .

أتيت بمنهج السماء فهديت النفوس بعد ضلالها ، وحررت العقول من أغلالها ، فأنت رسول الهداية والحرية ، ورافع راية ولواء الشورى والديمقراطية .

سيدى يا رسول الله :

معذرة إذا وقف القلم خاشعا من هيبتك ، وتلعثم اللسان رهبة من عظمتك ، فمن تاريخك يستلهم التاريخ أعلى آياته وأروع صفحاته ، علمت البشرية كيف تبنى بالعلم الحضارة ، وتتعامل بالمحبة وتتوادد بالمودة ، فأنت الذى ارتفع بإنسانية الإنسان إلى مدارج الكمال ، وفتح الطريق أمامه إلى آفاق السؤدد والجلال ، لمحنا فيك من الحكمة والفطنة ، والتواضع والجود ، والعدل والرحمة والرأفة ، وكل القيم الرفيعة مالم نلمحه فى البشرية كلها بما فيها من الأنبياء والمصلحين والحكماء والعظماء والزعماء وقادة الأمم والشعوب ، حتى شهد كل الأعداء بأنك عظيم العظماء ، وزعيم الزعماء ، وقائد القادة ، وسيد السادة والأولياء ، والمتقدم على جميع الأنبياء .

سيدى يا رسول الله :

معذرة وعفوا إن ضللنا الطريق حقبة من الزمن ، فتاهت بنا الدنيا فى متاهاتها وشغلتنا بفتنها فافتتنا بها .. ضللنا الطريق عن هداك فتنكب بنا الطريق ، فضلت مواكبنا ، وتاهت مسيرتنا ، فإذا بالفجر وضاح الجبين ، وإذا بنا نرفع راية القرآن خفاقة ، ونعلن الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك الفضل من الله ، بقدر نوايانا كانت المنة ، فقد أكرمنا الله بفضل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذه كرامة لأمتنا الموعودة بثلة من الآخرين .

سيدى يا رسول الله :

إن ذكرى مولدك فرصة سانحة لإحياء سنتك وقيمك ومبادئك ومثلك فأنت الذى جعل المؤاخاة بين المسلم والمسلم أقوى من أخوة الدم ورابطة القرابة ، وجعل الحب بين المؤمن والمؤمن جزءاً من الإيمان ، بل أساسا فى الإيمان ، وجعل التكافل بين المسلمين قائما على المودة والرحمة ، وجعل العدالة أساس الحكم ، حتى يكون الناس أمام شريعتك سواء ، كان الظلم قبل مولدك قانونا ، لا حماية للضعيف من القوى ، وكانت البشرية سادة وعبيدا ، فغيرت بوحى من ربك هذه المفاهيم ، وبدلت المجتمع غير المجتمع حتى أصبح الضعيف ينام ملء جفنيه لا يخشى قويا ولايخاف مغيرا ؛ لأن العدالة تقتص من الجانى مهما كان مركزه فى القبيلة ، أو منصبه فى العشيرة ، وفتحت أبواب الحرية للأرقاء ، وجعلت السيد والعبد متساويين فى المأكل

والمشرب والملبس .

صلى الله عليك سيدى يا رسول الله .

عبـــاد الله :

إعلموا أن الله قد صلى على نبيه قديما وأمرنا بالصلاة والسلام عليه شكرا وتكريما ، حيث يقول سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

فالصلاة على النبى صلة بينه وبين المصلى عليه كما يقول شيخنا الشيخ صالح الجعفرى - رحمه الله - فى الصلوات الجعفرية « **والصلاة صلة الإنسان ، فمن صلى عليه صلى عليه الله** » . فأكثروا من الصلاة والسلام عليه ؛ إذ الصلاة عليه تكفر الخطايا ، وتقضى الحوائج .

قال - صلى الله عليه وآله وسلم - « **من صلى علىَ مرّةً صلّى الله عليه بهاعشرا ، ومن صلى علىً عشرا صلى الله عليه بها مائة ، ومن صلى علىً مائة صلى الله عليه بها ألفا ، ومن صلى علىً ألفا حرم الله جسده وجلده على النار** » (٢) .

فطوبى لمن شغلته الصلاة والسلام على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - عن سيرة الناس وفضول الكلام .

اللهم إنا نسألك بنور وجه الله العظيم ، الذى ملأ أركان عرش الله

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٦ .

(٢) أورده الإمام الجزولى فى دلائل الخيرات .

العظيم ، وقامت به عوالم الله العظيم ، أن تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم ، وعلى آل نبى الله العظيم ، بقدر عظمة ذات الله العظيم ، فى كل لمحة ونفس عدد ما فى علم الله العظيم ، صلاة دائمة بدوام الله العظيم ؛ تعظيما لحقك يامولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم ، وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك، واجمع بيننا وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ، ظاهرا وباطنا ، يقظة ومناما ، واجعله ياربنا روحا لذاتنا من جميع الوجوه ، فى الدنيا قبل الآخرة ياعظيم .

اللهم اجعل رسولك قدوتنا فى الدنيا ، و شفيعنا فى الآخرة ، واجلنا من المحشورين تحت لوائه ، واجعله ساقينا على الحوض بيده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها ، وقائدنا على الصراط ، واجعلنا فى جواره فى الجنة . اللهم لاتحرمنا أجره ولا تفتنا بعده ... ياالله .

حلية رسول الله وصفته •

الحمد لله .. اصطفى رسوله من خلقه صفاء ونقاء ، خلقة وخلقا ، أصلا وفرعا . فهو الصفى المصفَّى المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم -

وأشهد ألا إله إلا الله . اختار رسوله وانتقاه من أشرف خلقه نسبا ، وأكرمهم حسبا ، وكان خلقه على عينه كريما حسيبا من بين قومه .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله . كامل الذات ، منتهى الغايات ، جميل الصفات ، المصطفى الأنور المنور ، نوره من نور الله ، فهو السراج الوهاج الذى أشرق فبدد دياجير الظلمة الحالكة ، والجهالة الضارية ، والغواية المهلكة ، اللهم صل وسلم على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد بن عبد الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، صلاة تنير لنا الطريق ، وتفرج عنا كل كرب وضيق ، صلاة تملأ قلوبنا محبة وشوقا ووفاء له ، وصلاة تبيض بها وجوهنا ، وتعمر بها قلوبنا ، وتطهر بها نفوسنا .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكل من والاه إلى يوم الدين .

أما بعـــد

يا أمة محمد عليه السلام :

يا أحباب محمد وأمته التى كرمها الله وجعلها خير أمة

• ألقيت فى ربيع الأول من عام ١٤٠٣ هـ .

أخرجت للناس .

ما أعظم هذه الشهادة وما أجلاها وما أغلاها وما أعلاها . خير أمة أخرجت للناس .

أين الأمم السابقة من لدن آدم - عليه السلام - والأمم التى بعدها ، أمم بعد أمم ، فقد جعل الله فيكم الخيرة اختيارا من أجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم . أحباب النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - يشتاقون إليه سماعا لاسمه ، وسماعا لمدحه ، وسماعا لوصفه خلقة وأخلاقا ، وسماعا لسيرته سلوكا ومعاملة، والفوز كل الفوز لمن قدر الله له رؤية النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - رؤية منامية ، ورؤيته حقيقة لأن الشيطان لا يتمثل به قدراً من الله وتكريماً لرسوله ومصطفاه .

ونحن فى رحاب شهر ربيع الأنور الذى شع فيه نور النبوة ، وأشرقت الأرض بنور المصطفى فنارت مفازاتها وجبالها ، ووضحت الرؤيا إلى أقصى المسافات حتى ظهرت قصور الروم وكنعان لجلال نوره الذى غمر الأفق ضوؤه وسناه ، ويشتاق المؤمنون فى كل زمان ومكان إلى التعرف على ملامح رسول الله الخلقية ، ولنا أن نستأذن رسولنا الكريم فى مطلع شهر نوره العظيم أن نتطفل على ما لا نقدر عليه لنروى ظمأ محبة أهل المحبة ، أهل الإيمان وأهل الشوق والاشتياق لرؤية الرسول الخاتم .

لنستمع جميعا بآذان صاغية ، وقلوب واعية ؛ لندرك ما أدركه الصحابة الأجلاء أهل الرؤية الصادقة والنظرة الفاحصة ، المشوبة بالمحبة الحانية لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - نستمع إلى ربيبه سيدنا على كرم الله وجهه - الخليفة الرابع لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأول من

آمن به طفلا ، الذى كفله رسول الله عن عمه أبى طالب .

قال على - كرم الله وجهه - : **عندما بعثنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - داعياً بالاسلام إلى أهل اليمن وقفت خطيبا فى ناديهم ، وكان فى الجمع حبر من أحبار اليهود . ويسألنى الحبر: صف لنا رسول الله أبا القاسم محمدا بن عبد الله الذى بعث فيكم. قال على كرم الله وجهه : وكان الحبر يمسك كتابا بيده فينظر فيه كأنه يراجع ويقارن الأوصاف التى أقولها . قال على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - رسول الله ليس بالقصير ، ولا بالطويل البائن** . أى أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لم يكن زائد الطول، ولا يميل إلى القصر. **وقال على : رسول الله ليس بالجعد القطط ، ولابالسبط هو رجْل الشعر أسوده** . أى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - شعره كان أسود اللون وهو سبط بين النعومة والتجعد .

وقال على - كرم الله وجهه - : « **رسول الله ضخم الرأس مشرب لونه حمرة أهدب الأشفار ، صلت الجبين** » أى أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ذو وجه أزهر اللون يميل إلى الاحمرار ، رموش عينيه طويلة ، وجبهته واسعة ناعمة .

وأضاف على - كرم الله وجهه - « **أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - شثن الكفين والقدمين ، بعيد ما بين المنكبين** »[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه بنحوه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب - كرم الله وجهه .

أى أن عظام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانت ضخمة عند ملتقى العظام كالركبتين والمرفقين والمنكبين ، وهذا دليل قوة البدن ، وأقدام الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانت ضخمة ، وكفاه كذلك وأصابعه قوية .

وقال على كرم الله وجهه « **رسول الله إذا مشى يتكفأ كأنما ينزل من صبب . لم أر قبله ولم أر بعده مثله** » أى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا مشى كان يسير بميل للإمام كأن الأرض منحدرة أمامه . وهنا وقف الحبر اليهودى وقال : « **إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى عينيه حمرة ، حسن اللحية ، حسن الفم ، تام الأذنين ، يقبل جميعا ويدبر جميعا ، فرد عليه على ـ كرم الله وجهه ـ هذه والله صفة رسول الله** » .

قال الحبر اليهودى : « **وفيه حفاء** » أى ميل إلى الأمام .

قال على ـ كرم الله وجهه ـ : « **هو الذى قلت لك كأنما ينزل من صبب** » أى أن الأرض تكاد تنحدر أمامه .

قال الحبر اليهودى : إنى أجد هذه الصفة فى سفر آبائى هذا ، ورفع كتابه الذى بيده ، وقال الحبر اليهودى : نجده يبعث فى حرم الله وأمنه موضع بيته ، ثم يهاجر إلى حرم يحرمه هو ـ الحرم النبوى بالمدينة ـ ويكون لهذا الحرم حرمة كحرمة الحرم الذى هو حرم الله .

قال الحبر اليهودى : وإنى أشهد أنه نبى الله وأنه رسول الله إلى الناس[1] . علينا أن نقف بعد هذا الحوار الذى أسلم بعده الحبر اليهودى بعد

---

(١) سنن الترمذى ـ ما جاء فى صفة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم .

معرفة أوصاف النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وتطابقها بما فى أسفارهم وأخبارهم وهم الذين كانوا يترقبون ظهور النبى حسب ماهو مذكور عندهم . فقد كان وقته ، وكانوا يظنون أنه سيبعث فيهم .

انظروا كيف تعرف اليهودى إلى شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - فعرفها من الوصف ثم أسلم وآمن به دون أن يراه أو يشاهده ..وما أحرانا ونحن أمته التى بعث فيها أن نتحرى أوصاف رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هل فكر فينا أحد فى يوم من الأيام كيف كانت صورة النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وكيف كانت حليته الخلقية ؟

إن أهل الحب هم الذين تحروا ذلك ، ويتحرون ذلك لتكون عندهم الرؤية الصادقة لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وما أحرانا ونحن نقدم على الاحتفال بمولده أن يكون هذا الاحتفال مجالا للتعرف على صفات رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم الخلقية أولا ثم الخلقية ثانيا . لتكون الأسوة وتكون القدوة عن رؤية مرئية يتعشقها الإنسان ، ثم يتشوق إلى الرؤية الحقيقية ، فيأتيه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فى رؤية منامية ، فتكون المشاهدةلمن أحب الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فالرسول يحبه ، وحب الرسول تتبعه رؤية صادقة لا يتمثل بها الشيطان .

لنعد مرة أخرى إلى كمال حلية رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم لتتم الرؤية وتتحقق المشاهده .

قال سيدنا الحسن بن على - كرم الله وجهيهما وحفيد رسول الله وسبطه : سألت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **إسمع أخى المؤمن الأدب عند أهل الأدب ، انظروا**

للحسن يقول : « حلية رسول الله » ولم يقل صفة رسول الله . دليل على أنه يلحظ أن كل وصف حلو فكأن ، وصوفه كانت حلية . وفى ذلك كمال الأدب النبوى. وقال الحسن: « وأنا أريد أن يصف لى منها شيئا » لماذا يطلب الوصف ؟ قال « أتعلق به » يعنى حين يتصور ذاته الشريفة تحدث له صورة فى نفسه عن هذه الذات ، وبالمقارنة يولع الناس بالصور الفوتغرافية لمن يحبون ويتذكرون ، وهو أمر نعرفه عن الكتاب والشعراء والأدباء فى مجتمع اليوم .

وحينما سأل سيدنا الحسن خاله عن حلية وسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يريد أن يعطى نفسه ذلك الزاد التصورى ، ويريد أن ينقل لنا ذلك الزاد ، وإلا فمن كان يتصور كيف كان رسول الله ؟ فماذا قال ابن أبى هالة خال الحسن بن على ـ كرم الله وجهيهما : « كان فخما مفخما »

ومعنى « فخما » أى جميل الطلعة ، بهى النظرة ، لاتقتحمه العين من نظرة ، إنما يملأ العين فيفيض منها ، فلا تملك شمول صورته وجمال هيبته . ومعنى « مفخما » أى أن كل من ينظر إليه يراه جميلا ، يجد له هيبة فيه من الوقار جلال .

ثم يقول هند : « يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر » . ومن منا لم ير القمر ليلة البدر ؟! ليلة الخامس عشر من الشهر العربى ، هذه صورة من ملامح وجهه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وشتان بين الصورة والأصل .

ثم يقول : « هو أطول من المربوع وأقصر من المشذب » معنى ذلك أنه فى أوسط القوام .

ثم يقول « **عظيم الهامة** » . إن رأسه الشريف ساعة تراه ترى عظمة تستميل وتستلفت النظر .

« **أزج الحواجب** » يعنى رقيقها وبين الحاجبين فرق ، وفى هذا الفرق عرق يظهر إذا أغضبه شئ . « **له نور يعلوه هالة من الضياء تشع من فوقه ، شديد سواد العينين ، واسع الفم ، سهل الخدين** » أى لم يكن أحد خديه عاليا أو متورما .

« **مفلج الأسنان** » أى أن أسنانه مستوية بينها مسافات قليلة دقيقة « **عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، عنقه فى صفاء الفضة ، فى ظهره خاتم النبوة ، إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ، وإذا صافحه أحد يظل المصافح سعيدا بما فى يده من رائحة العطر** » [1] .

نعم : كان عرق رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أطيب من المسك وأحلى من العطر .

قال سيدنا أنس بن مالك : « **كنا نعرف مقدم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قبل ظهوره بطيب رائحته الذى يسبق مجيئه** » .

ويقول هند بن أبى هالة ابن السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ قبل زواجها من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ « **كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره**

---

(١) رواه البيهقى ، والحاكم فى المستدرك .

إلى السماء . يبدأ من لقيه بالسلام ، متواصل الفكر ، طويل السكوت ، كلماته موجزة فقد أعطاه مولاه جوامع الكلم » [1] .

صلى الله عليك سيدى يا رسول الله .

يقول شيخنا الشيخ صالح الجعفرى - رضي الله عنه - « **ثبت أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قد أعطى الحسن كله ، وكان الحسن والجمال النبوى متوجا بأمرين عظيمين : الأول : الهيبة الجلالية ، والثانى : النور الربانى ولذلك لم يفتتن به من يراه من فتيات قريش أو نسائها مع أنه أعطى الحسن كله محاطا بالنور الربانى هذا بخلاف سيدنا يوسف - عليه السلام - فإنه مع كونه أعطى نصف الحسن إلا أنه خرج على النسوة فقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم** » . وفى ذلك قال المادح :

وصحب زليخا لو رأين جبينه

لآثرن تقطيع القلوب على الأيدى

وفى ذلك يقول على - كرم الله وجهه - « **من رآه بديهة هابه** »[2] .

وتقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - « **كنت قاعدة والنبى - صلى الله عليه وسلم - يخصف نعله ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل العرق يتولد نورا . فبهت . فقال: مالك بهت ؟. قلت : جعل جبينك**

---

(١) فى كتاب الشفا - فصل فى حسن عشرته وأدبه .

(٢) سنن الترمذى - المناقب - من حديث طويل .

يعرق وجعل عرقه يتولد نورا ، ولو رآك أبو كبير الهذلى لعلم أنك أولى بشعره الذى قال فيه :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه

برقت بروق العارض المتهلل (١)

وقالت - رضي الله عنها - :

« **كنت يوما أخيط ثوبا فسقطت الإبرة من يدى وكان الظلام فلم أر للإبرة أثرا . فدخل النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأنا أبحث عنها ، فرأيتها عندما سطع نور وجهه - صلى الله عليه وآله وسلم** » .

صلى الله عليك وسلم يا سيدى يا رسول الله فأنت النور الذى سطع فأبهر الدنيا ضوؤه وسناه .

اللهم نور قلوبنا بنور الإيمان ، ونورها بمحبة رسولك الكريم ، واجعل اللهم صلاتنا نورا على وجوهنا .

عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - :

« **من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى** » (٢) .

وقال : « **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** » .

---

(١) رواه البيهقى فى سننه .

(٢) رواه البخارى .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى أنعم علينا بنعمة الإسلام ، وأكرمنا بهدى القرآن ، وشرفنا برسالة خير الأنام ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس .

وأشهد ألا إله إلا الله . شهادة بقلب الإيمان ولسان الإسلام .

وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا محمدا رسول الله بحق وصدق ، خاتم الأنبياء والمرسلين

السلام عليك سيدى يا رسول الله وبركاته وتجلياته ورحماته ، والسلام على عباد الله الصالحين ، وصل اللهم على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم . إنك حميد مجيد .

وبعـــد

يقول ابن عطاء الله السكندرى - رضي الله عنه - : زار بعض السلاطين ضريح أبى يزيد البسطامى - رضي الله عنه - وسأل السلطان : هل يوجد هنا ممن سمع عن أبى يزيد ؟ فأشير له على شيخ كبير مسن يجلس فى المسجد . فقال له السلطان : أسمعنى شيئا مما سمعت من أبى يزيد . قال الشيخ : سمعته يروى « من رآنى لاتحرقه النـار » فاستغرب السلطان من ذلك وقال : كيف يقول أبو يزيد ذلك . أبو جهل رأى النبى وتحرقه النار . فقال الشيخ للسلطان : أبو جهل لم ير النبى إنما رأى يتيم أبى طالب ، ولو رآه لم تحرقه النار . ففهم السلطان كلامه وأعجبه .

أيها الإخـــوة المؤمنون

نقف عند هذا الرد الحليم ، إن أباجهل لم ير النبى - صلى الله عليه

وآله وسلم - رؤية التعظيم والإكرام والاعتقاد بأنه رسول الله ، ولو رآه بهذا المعنى لم تحرقه النار ولكن رآه يتيم أبى طالب تصغيرا لشأنه .

والمؤمنون لا يقعون فى هذا الإثم بحمد الله ، فإن نظرتهم نظرة الإكبار والإجلال .

ولتكن نظرتنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - نظرة عظيمة لها أبعادها ومدلوها ، ونحن نقدم على الاحتفال بمولده احتفالا يليق بمكانة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وبقدر حبنا له يكون اهتمامنا بمولده .

فقد روى أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لما سئل عن صومه ليوم الاثنين من كل أسبوع قال : « **هذا يوم ولدت فيه وبعثت فيه** » [1] .

فصوم الرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فى يوم ميلاده احتفال وتقرب وشكر لله ، فما أحرانا ونحن أمته أن نمجد يوم ميلاده ، ويكون عيدا بيننا ، وياليتنا نحتفل بأيام السنة كلها بهذه النعمة وهذه المنة ، والتبرع لعمل المولد محمدة مشكورة ليكون يوم الاحتفال كريما ، يجد فيه الفقراء من الطعام والشراب ما يميزه عن بقية الأيام ، فتبرعوا بما تيسر ، وقدموا ما استطعتم من مال وطعام وشراب ، واجعلوها أياما ميسورة الرزق ، غدقة العطاء ، كريمة البر .

عباد الله

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه من حديث أبى قتادة الأنصارى - رضي الله عنه -

صلوا على نبى الرحمة . ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد ياذا الخلق العظيم وعلى آله وصحبه ، وارض اللهم عن خلفائه وسائر الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين ، واجعلنا معهم بعفوك وكرمك وغفرانك يا أرحم الراحمين .

اللهم أعز الإسلام ، وانصر المسلمين ، وألف بين قلوبهم أجمعين .

اللهم إنا نسألك أن توفق راعى الأمة جعفر المنصور ، وسدد على الخير خطاه ، وارزقه البطانة الصالحة ، وألهمنا الرشد والسداد فى تطبيق الشريعة الإسلامية فى أهلنا وأولادنا وبيوتنا ومجتمعنا ، واجعل اللهم الخير فينا .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٣) .

ربنا بلغنا مما يرضيك آمالنا ، وارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، ولاتسلط علينا بذنوبنا من لايخافك ولا يرحمنا . يا أرحم الراحمين .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٦ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٠١ .

مسئولية الكلمة*

الحمد لله على نعمة الإسلام وكمال الإيمان .

وأشهد ألا إله إلا الله . رضينا به ربا وبالإسلام دينا .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله نبى الرحمة وهادى الأمة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه .

أما بعـــد

اللسان نعمة عظيمة إن صاحبه صانه ، نقمة على صاحبه إن أطلقه أهانه ، وهو عجيب من عجائب خلق الله ، صغير حجمه كبير أثره .

هو عنوان القلب وترجمان الضمير ، فترى الكفر والإيمان ، والبغض والمحبة ، والشر والخير ، والسفاهة واللطافة ، ولا يستبين شئ منها ولا يعرف حق المعرفة إلا باللسان ، ثم لا يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم ، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع ، فلا ينطقه ولا يطلقه إلا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته من عاجله وآجله .

وقد يتساهل كثير من الاحتراز من غوائله وهى كثيرة متعددة ، يرغى ويزبد فيها اللسان ، وهو كالمنجل يقطع ويخرق ويجرح ، وصاحبه لا يبالى من جرح ومن قطع ومن قتل ، فترى الغيبة والنميمة وهى من الأخلاق

* ألقيت بمسجد الثانوية العليا بدنقلا فى ١٩٨٥/٣/٢٢م .

الذميمة ، يطلقها اللسان وتخرج منه كالأفعى الرقطاء .

والكذب وفحش القول والمراء والجدال ، كل أولئك آفات لا يجنى الإنسان من ورائها خيرا ، إنما يكسب بها إثما وضررا ، وهى لاتصدر إلا عن اللسان ، وهو مرآتها ، ففى الأمثال قالوا « ما فيك يظهر على فيك » .

والغيبة ذكرك أخاك بما يكره . قالوا : ولو فى وجهه ، وهى والعياذ بالله أخطر آفات اللسان ، وكفاها ذما وقبحا أن شبهها الله - تعالى - فى الكتاب بأكل لحم الميتة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (١) .

ويقول الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه يتتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته** » (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « **مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون وجوههم بأظافرهم . فقلت : يا جبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى آعراضهم** » (٣) .

وعلاج هذه الآفة الضارة «أن يعلم الإنسان ويشعر نفسه دائما بأنه إذا اغتاب يكون معرضا للسخط من الله - تعالى - والغضب ، ويستحضر أن الغيبة محبطة للحسنات يوم القيامة ، وما أفقر العبد إلى حسنات كثيرة فى ذلك

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد - عن أبى برزة الأسلمى - رضي الله عنه -

(٣) مسند الإمام أحمد ، وسنن أبى داود - عن أنس - رضي الله عنه -

الموقف يوم كشف الحساب تقيه أهوال العذاب .

وفى النميمة إفشاء للسر ، وهتك للعرض والستر ، ونقل الكلام للإيقاع بين الناس ، وهى من أشد الآفات ضررا ، وأبلغها أثرا فى تصدع وحدة المجتمع ، وخلق الفرقة والشتات بين الإخوة والأحباب والأصدقاء والأهل والأقرباء ، فهى داعية للتفرق ، وعامل للتشتت ، ومعول للهدم فى صرح الأمة الواحدة .

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى بيان سوء صاحبها .

« ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى . قال المشاؤون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العيب » [1] .

وكما يجب عليك أن تصون لسانك من الوقيعة بين الناس يجب عليك أن لاتسمع لقول نمام ، فإن النمام لايكون صادقا ، ومن الإثم أن تسمع الكذب .

روى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا عنده الزهرى ، فجاءه رجل ، فقال سليمان : بلغنى أنك وقعت فى وقلت كذا وكذا .

فقال الرجل : ما فعلت ولاقلت .

فقال سليمان : إن الذى أخبرنى صادق .

فالتفت الشيخ الزهرى وقال : لا ياسليمان . لا يكون النمام صادقا .

فقال له سليمان : صدقت يا شيخ .

---

(١) فى شعب الإيمان . عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية .

ثم قال للرجل : اذهب لحالك بسلام .

وأنت أيها المسلم إذا قبلت قول النمام فقد آذيت نفسك بضيق صدرك مما سمعته ، وربما أخذت مأخذا آخر على الذى تقول عليه وأضمرت له الشر أو المقاطعة ، وأخذت فى نفسك منه بدون تدبرلمجرد الاستماع إلى النمام ، وربما يكون غرضه التفرقة والخصام ، ثم إنك شجعته على إثمه ، ثم إنك لا تأمنه أن ينقل عنك الرد أو يتقوله عليك ، فقد قيل « من نم لك نم عليك » . ولابد للإنسان من أن يتدبر العاقبة فلا يقع فيما يغضب الرب ، ويكثر الذنب .

والكذب ولو مزاحا هو من فواحش العيوب ، يسقط الهيبة ، ويبهت الوجه ، ويودى بالشرف ، ويزرى بصاحبه ، ويسلب منه ثقة الناس فيه ، ولا يزال الكذاب يطلق لسانه بالكذب حتى يعرف به ، فلا يسمع له حديث ولو كان صادقا إلى أن يكتب عند الله كذابا .

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « **لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا** »[1] .

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - « **إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك مسيرة ميل من نتن ما جاء به** »[2] .

وهو آية من آيات النفاق ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان** »[3] . والكذب أنواع متعددة كما جاء فى الحديث :

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه - كتاب الأدب - من حديث أبى وائل عن عبد الله .

(٢) سنن الترمذى - البر والصلة - عن عبد الله بن عمر - ﷺ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه - كتاب الإيمان - عن أبى هريرة - ﷺ .

« رحم الله رجلا حفظ لسانه مما يغضب الله والناس » .

وقد جعل سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ النجاة فى حفظ اللسان عندما سأله الصحابى قائلا : ما النجاة يا رسول الله ؟

« فقال له : أمسك عليك لسانك ، وابك على خطيئتك ، وليسعك بيتك » [1] .

الإخـــوة المؤمنون :

جاء فى الأثر أن لقمان الحكيم طلب من ابنه ذات يوم أن يذبح له شاة ويأتى له بأحسن قطعة لحم منها فأحضر له اللسان ، ثم طلب منه أن يحضر له أسوأ قطعة لحم منها فأحضر له اللسان .

ومدلول هذه القصة التى تناقلتها الروايات المتعددة أن اللسان نعمة عظيمة من نعم المولى عز وجل إن صانه صاحبه . فقد جاء فى الأثر « لسانك حصانك إن صنته صانك وإن أطلقته أهانك » .

فأطلق لسانك يا عبد الله فى ذكر الله واجعله رطبابه ، واقرأ به القرآن فإنه نور على الصراط وفى القبر ، وأفد به علما ونصحا لعباد الله ، فالكلمة الطيبة صدقة ، ما أكثر ما يستفاد من اللسان إن نطق أوسكت !! .

قال عبد الله بن مسعود « **والذى لا إله إلاهو ما على ظهر الأرض شئ أحوج إلى طول سجن من اللسان** » .

ويوصى الرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى وصية لأبى ذر ـ

---

(١) رواه أحمد فى المسند ، والترمذى فى سننه عن أبى أمامة عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ .

ﷺ - « **عليك بطول الصمت** »[1] .

فاللسان السائب حبل مرخى فى يد الشيطان يصرف صاحبه كيف شاء ، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « **لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه** »[2] .

ويقول - صلى الله عليه وآله وسلم - « **من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه** » .

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « **التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والتائب حبيب الرحمن** » .

إسألوا الله العفو والعافية فإن الله يحب أن يسأل .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى أحصى كل شئ ، وهو الرقيب على كل شئ ، وهو العليم بكل شئ .

وأشهد ألا إله إلا الله . قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[3] .

يحصى الكلمات ، ويسجل العبادات ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

---

(١) فى شعب الإيمان عن أبى ذر - ﷺ -

(٢) مسند أحمد - عن أنس - ﷺ -

(٣) سورة ق ، الآية ١٨ .

وأشهد أن سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمدا بن عبد الله ، رسول الله وعبده وخليله ورحمته المهداة للعالمين . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين ما فرغت ألسنتهم عن ذكر الله حتى لقوا الله .

أيها الأخ المسلم :

بعد تلك المقدمة الطويلة عن خطر اللسان وأثره فى المجتمع إذا أطلقه صاحبه بقول كل شئ بدون وعى وإدراك ؛ علينا أن نعى وأن نعرف أن مسئولية الكلمة عظيمة وخطيرة ، ولخطورتها حذرنا رسول الله - المربى والمعلم - صلى الله عليه وآله وسلم - من أن نحدث الناس بكل ما نسمعه أو نعرفه فقال : « **كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع** » [1] .

والمؤمن الحق يفكر قبل أن ينطق ، فقد تكون كلمة واحدة سببا فى تدمير أمة بأسرها ، ومن يتبع سيرة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - يدرك مدى أهمية الكلمة فلا ينطق إلا بما هو ضرورى أو لمصلحة .

« **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت** » [2] .

هذا توجيه نبوى كريم من صاحب الوحى العظيم ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

ويقول الإمام على كرم الله وجهه « **اللسان العاقل وراءه قلب عاقل** » .

وليس كل ما يسمع يقال ، وليس كل ما يسمع ينشر .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه عن حفص بن عاصم ، ورواه أبو داود .

(٢) رواه مسلم والبخارى بنحوه .

أيها المسلمون

إننا نعيش فى هذه الأيام حالة حرب نفسية مع الدول الصليبية ومن سلك طريقهم ونهج نهجهم ، والاتفاق ظاهر على محاربتنا فى إذاعاتهم المأجورة الكاذبة . تطلق الإشاعات والأكاذيب والافتراءات ، تحاربنا ببث الإشاعة الضارة فتكيل التهم وتخلق الأحداث الكاذبة والأقاويل ، كل ذلك يحدث من إذاعة إسرائيل وسوريا وليبيا ولندن صباح مساء ، وفى إذاعة الانفصاليين ، حشدوا لها المرتزقة والمأجورين ، هذه الإذاعات للأسف وجدت من يسهر عليها سماعا ، ويقف أمام مفتاح الراديو يقلبه شرقا وغربا ثم يخرج صباح يومه إذاعة متنقلة لإسرائيل ، وإذاعة متنقلة للندن ، وينشر السموم بدون وعى ولا إدراك : لندن قالت كذا ، وكذا قالت .... وهو بذلك يعمل أخطر عمل ضد وطنه وأهله ، وإن مثل هذا العمل وهذا النشر يفتت وحده الجبهة الداخلية ، ويجعل الناس تعيش فى هلع من الأكاذيب .

إن سلامة الجبهة الداخليةمن الإشاعة الكاذبة ومن مداخل الحرب النفسية أمر هام ، والدول العالمية عندما تكون فى مثل ما نحن فيه تحرم على شعوبها سماع إذاعات الدول المناوئة ، وقد كان ذلك فى أيام الحرب لا تسمع محطة ألمانيا ولا إيطاليا ، فعلينا أن نعى ونسمع ونقول : إن الحرب النفسية من أخطر الحروب لتفتيت الجبهة الداخلية ، فنقل ما تقوله الإذاعات المناوئة فى المجتمعات ، والقهاوى ، وتحت البرندات من أخطر العوامل التى تسبب الذعر والهلع فى نفوس البسطاء .

أيها المؤمنـــون :

إن بلادنا تمر بأخطر مرحلة فى تاريخها ، وهى مرحلة الاعتماد

على النفس ، ونحن نطبق الشريعة الإسلامية لا يمكن أن ترضى علينا الدول الصليبية ، فهذا قدرنا والله معنا والله ناصرنا ، وعلينا أن نتمسك بهدى رسول الله ، ونقدر مسئولية الكلمة فهى تهوى بصاحبها إلى النار ، ولا يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم .

وصلوا على نبيكم فالصلاة عليه ذخر وزاد .

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم ، والقدر العظيم ، وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

اللهم ارزقنا لسانا رطبا بذكرك وشكرك .

اللهم اعقد ألسنتنا عن اللغو الفاحش .

اللهم انصرنا بنصرك العزيز ، واجعل اتكالنا عليك لا على غيرك ، وامنحنا عفوك ورضاك يا أرحم الراحمين .

عبـــاد الله

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

---

(١) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

أهمية الدعوة إلى الله تعالى •

الحمد لله - عز وجل - جعلنا خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فضلنا بذلك تفضيلا على الأمم السابقة ، سبحانه هو الخالق ، الرازق المتكفل برزق العباد .

وأصلى وأسلم على المبعوث بالهدى والرشاد . النبى الأمى ، الرحمة المهداة والنعمة المسداة . خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الأطهار ، وصحبه الأخيار ، الذين شدوا الرحال وجابوا البلاد ، وانطلقوا ينشرون الدين ويعلون كلمة الله . لا إله إلا الله . ذكت نفوسهم ، وصفت قلوبهم ، زهدوا فى الدنيا ، ورغبوا فى الآخرة، فأعطاهم الله عز الدنيا ، وأورثهم نعيم الآخرة . عليهم رضوان من الله وسلام من المؤمنين فى كل لمحة ونفس عددما وسعه علم الله

الإخـوة الأحباب :

إن من هذه الأمة رجالاهم أهل الدعوة والإيمان ، يمتطون مركب الإيمان ، ويهاجرون إلى ساحة الرضوان ، يغرسون رياض الجنة وينشرون ثمار السنة ، لا فضلا منهم ولامنة ، ولكن تجارة مع الله رابحة ، تجارة مع

• ألقيت بتاريخ ١٤شوال ١٤٠١هـ الموافق ١٤/٨/١٩٨١م .

أحباب الله مستجابة ، رأس مالها التقوى ، وبضاعتها حسن الخلق ، والكلمة الطيبة ، وهدى رسول ـ الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وآيات بينات محكمات من كتاب الله ، وسوقها هجرة إلى الله فى بلاد الله ، يبشرون بدعوة رسول الله ، ويبلغون كلمة « لا إله إلا الله . محمد رسول الله

أيها الإخوة الأحباب :

السوق رابحة ، والبضاعة حاضرة ، فيا فوز من اشترى وباع ، ويا فوز من صار من الأتباع ، فزهد فى الدار والأهل والمال ، وركب مركب الإيمان ، وهاجر مع وفد الإيمان ليعلى شأن الدعوة ، ليقول لأهل الهند : إننا بخير ، والإسلام فى بلادنا شمسه مشرقة وأقماره زاهية ، رجاله لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله ، عابدون ذاكرون ، صائمون قائمون ، قانتون، هجرت نفوسهم شهواتها وملذاتها ، فقد زكوها بكلمة التقوى .

أيها الإخوة الأحباب :

نحن من الله جئنا وإلى الله نعود، وأول ما عرفت أرواحنا المحبة عرفتها من محبة الله ، وأول ما عرفت الشوق عرفته إلى الله ، هكذا يقول أهل الله من أوليائه العارفين به ، وإنهم ليذكروننا بالرسول إمام المحبين والمشتاقين إنه كان يدعو ربه بأحب الأدعية إليه فيقول : « **أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك** » .

والشوق إلى الله نعمته الكبرى على من يصطفى من عباده ، ومادامت أرواحنا لم تعرف إلا الحب له ، ولم تعرف الشوق إلا إليه ؛ فهو سبحانه الجدير بكل حبنا ، والجدير بكل أشواقنا ، ومهما نحب غيره ، ومهما

نشتق إلى سواه ، فهو الحبيب الأول نحبه ويحبنا .

الإخـوة الأحبة :

عندما بدأت إنسانية الإنسان ، وحلت فيه النفحة المباركة من روح الله كان الله أول من عرف وأول من أحب ، ثم لما باعدت الخطايا بينه وبين بارئه صار يتلمس الطريق إليه ؛ ويدفعه الشوق والحنين إليه ، بيد أن درجات هذا الشوق والحنين تختلف من إنسان لآخر؛ لأن مرد هذا الشوق إلى الروح ، وأكثر الأرواح حنينا إلى الله وشوقا إليه هى تلك التى ولدت ولادة ثانية أخرجتها من مشيمة النفس وظلمة الطبع ، تلك التى ينادى الله أصحابها بقوله : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ (١) .

والشوق والحب عاطفة متبادلة بين الله وعباده ؛ فنحن نشتاقه وهو يشتاقنا ، ونحن نحبه وهو يحبنا ، والمقصود من نحن : أولئك الذين لم يؤثروا على الله أحدا ، ولا يعصون له أمرا ، وهو دائما يجدهم حيث أمرهم ، ويفقدهم حيث نهاهم ، يقول العارف بالله يحيى بن معاذ : علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات .

والذين تغمر أفئدتهم بهذا الشوق يدركون ما عمى عنه الكثيرون ويدركون أن رحمة الله قريب من المحسنين ، ويعرفون أن مزمع السفر إلى رضوانه لايكاد يلوح بعزمه وبأشواقه حتى يجد كل مراكب النعمة فى انتظاره لتنطلق فى الموكب المجيد ، فالرب الذى يشدون الرحال إليه ، ويهاجرون

---

(١) سورة الكهف ، الآية ١١٠ .

إليه، ليس فقط الأول فى وجوده ؛ بل الأول أيضا فى جوده، فالله يحب عباده الصالحين كما يحبونه ، ويشتاق إليهم كما يشتاقون إليه ، وإلى هذا المعنى الكبير يشير الحديث القدسى الذى يقول الله فيه عن عبده الصالح :

« **فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، وإذا مشى إلى شبرا مشيت إليه ذراعا وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة** »[1] .

انظروا أيها الأحبة كيف يلاقى الحبيب حبيبه : إذا أتانى يمشى أتيته هرولة ، أهناك حفاوة وتودد أكرم من هذا الذى أعده الله لعباده الذين يحبونه فيحبهم ، ويشتاقون إليه فيهرول إليهم ؟ !

إن الشوق إلى الله ضرورة لكل حياة صالحة ؛ لأنه عصمة يعصم الإنسان المؤمن من شر الخطايا وهى الغفلة عن الله ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « **إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا الله العافية** » .

وفسر أحد العارفين هذا الحديث بقوله : « أتدرون من هم أهل البلاء ؟ قال: أهل الغفلة عن الله » .

وأنت قد تذكر الله فى حالة الخوف ، وأفضل منه أن تذكره بدافع الرجاء فيه ، والشوق إلى الله والهجرة إليه يتطلب التجرد عن الهوى وغلبة على النفس ، يقول أبو يزيد البسطامى : إذا قلت : يارب أين الطريق إليك ؟ جاءك النداء : خل نفسك وتعال . نعم . فالنفس مثقلة بأطماعها وشهواتها حجاب كثيف يعمينا عن الطريق ، ويحجب عنا الرؤية ، ويجذب خطانا

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الرقاق من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه -

إلى الأرض .

إن الشوق من الله نزول من حضرته يتناسب مع ضآلة العبد وعظمة الرب . وما أهون أن يخلى الإنسان نفسه وأطماعها وشهواتها ويهاجر إلى الله فى تجارة رابحة مع الله - تعالى - نعم . إن تخليك عن نفسك من أجل الله سيردها به الله إليك نفسا زكية وفية تقية مطمئنة بقدرة الله ، لألاءة بنوره ، متلفعة بجلاله ، عزيزة بوقاره ، وهكذا ، من ترك نفسه لأجل الله وجدها .

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم « **إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظرإلى قلوبكم** »[1].

وقال - عليه الصلاة والسلام - : « **إذا كان يوم القيامة جئ بالدنيا فيميز منها ماكان لله وماكان لغير الله رمى به فى نار جهنم** » .

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - :

« **التائب من الذنب كمن لاذنب له والتائب حبيب الرحمن** » .

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم عن أبى هريرة - رضي الله عنه -

الخطبة الثانية

الحمد لله . ونصلى ونسلم على سيدنا ومولانا محمد رسول الله حبيبنا وشفيعنا محمد بن عبد الله ، الكامل الذات ، جميل الصفات ، منتهى الغايات ، نور الحق ، وسراج العوالم . صلى الله سبحانه وتعالى عليه وعلى آله صلاة دائمة بدوام الله العظيم ، تعظيما لحقك يامولانا يامحمد ياذا الخلق العظيم .

وبعـــد .. يا أهل القرآن . نستضيف فى هذه الأيام إخوة أعزاء تركوا الأهل والبلد والولد ، تركوا مشاغل الحياة وهاجروا لله لا لتجارة مادية ولا لنزهة دنيوية هاجروا من أجل الدعوة إلى الله يدعون بدعوة الإسلام ، يقظة للقلوب ، وتذكرة للعقول ، خرجوا رغبة لا رهبة لاطمعا فى جاه ، ولاجريا وراء سلطان ، ولاكسبا لفئة ، خرجوا مصحفا يتلى ، وكتابا يقرأ ، وآية تحفظ ، خرجوا وبرنامجهم حياة صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يبشرون بأن الإسلام بخير ، حيث مسلم يقول : لا إله إلا الله ، ينذرون بأن الدنيا متاهة شغلت الكثير من الناس تاهوا وراء مكاسب الحياة ، خرجوا إلى الله ركبانا وماشين حداؤهم :

جئنا إلى الله بغير زاد ... إلا التقى وعمل المعاد .

فى سبيل الله يبلغون الآية ، والحديث ، والنصيحة .

أيها الإخوة الأحبة : لقد كانت أيام المؤتمر الاسلامى للدعوة عامرة حافلة بما أنعم الله به علينا تفضلا منه وتكرما ، فالشكر لأهل الفضل لمن أجرى الله على يديهم النعمة وساقهم إلينا رحمة من عنده ، كانوا مثالا

صادقا لحياة الصحابة فى أقوالهم وأفعالهم ، فى هديهم وإرشادهم ، فى أخلاقهم وفى مجتمعهم وفى مسيرهم وسيرتهم ، فى قادتهم وقيادتهم، لا نستطيع أن نفرق بينهم من الأمير ومن المأمور ، ومن الواعظ ومن المرشد . هكذا عشنا أياما خالدة من أيام تاريخ الصحابة عليهم رضوان الله . وفقنا الله وإياهم إلى الهدى والرشاد وإلى الدعوة إلى الله وهداية العباد وهدى المسلمين بدعوتهم ووفقهم لمسيرتهم ، وبادروا بالهجرة معهم تذكرة بهجرة المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - صلوا عليه كما أمركم ربكم بالصلاة عليه . فالصلاة عليه ذخر وزاد .

اللهم صل على سيدنا محمد ذى القدر العظيم ، وعلى آل نبى الله العظيم ، بقدر عظمة ذات الله العظيم ، فى كل لمحة ونفس عدد ما فى علم الله العظيم .

قيمة الوقت *

الحمد لله . جعل فى مرور الأيام عبرة .

وأشهد ألا إله إلا الله .. حدد الآجال ، فالأعمار محدودة ، والأنفاس معدودة ، دقائق وساعات وشهور وسنوات ، وأعمار ماضية ، ونفوس لا هية ، تمر مر السحاب ، فذهاب ولا إياب ، والإنسان فيها كادح إلى ربه كدحا فملاقيه .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، نبى الرحمة ، هادى الأمة ، كاشف الغمة ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، صلاة تنير لنا الطريق ، وتفرج عنا كل كرب وضيق ، نجتاز بها الصراط إلى مقامه المحمود وحوضه المورود ، فيسقينا من كوثره شربة بيده الشريفة لا نظمأ بعدها أبدا إن شاء الله .

يا إخوة الإيمان :

أحدثكم اليوم عن ثروة ضائعة تبددونها بلا وعى ولاحساب ، لقِيت من الجحود والنكران والإهمال أعظمه ، ولم تفكروا فيها أبدا ، ولم تعملوا من أجل اغتنامها أبدا ، وهى مبددة ضائعة ، كل يوم تنقص ولاتزيد ، وتذهب ولاتعود ، محسوبة عليكم ، والناس يتجاهلونها وما عملوا على اغتنامها ولا

* ألقيت بالمسجد العتيق بدنقلا فى ١٩٨٥/١/٢٥م .

الاستفادة منها ، أغفلوها وتهافتوا على الثروات المادية يعملون على جمعها والحصول عليها ، ويتحملون فى سبيلها ضروبا من العناء والشقاء غير مبالين ولا مكترثين ، فإن هناك أمرا قد خفى عليهم أمره ، وهو أغلى من كل ثروة ، وأثمن من كل ما يقع فى أيديهم من متاع ومال ، وأغلى وأنفس مما تجمعون وتكثرون ، وتبنون وتشيدون .

إنه الوقت .. الذى قالوا عنه « الوقت من ذهب » أى والله أغلى من الذهب ، وأندر من الذهب ، وقالوا عنه « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك » أى أنه يذهب أصلا ولايعود أبدا ، لو ضاع منكم الوقت وانصرم لا يتمكن ولايمكن لإنسان أن يرجعه أويعود به مرة أخرى ، ومن ثم فإن كل مفقود يرجى العوض فيه إلا الزمن فإنه لابديل له .

والإنسان العاقل هو الذى يضن بوقته أن يضيع منه سدى أو يفلت منه على غير هدى ، لأن العابثين ستأتى عليهم لحظة يتصورون فيها أن حياتهم لم تكن سوى ساعة من نهار ، وذلك حين يقفون للحساب والمساءلة : ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلاَّ ساعةً من النهار يتعارفون بينهم ﴾ (١) .

﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاَّ عشيةً أو ضحاها ﴾ (٢) .

والعجيب أن الناس يقضون حياتهم مخدوعين يطويهم كر الغداة ومر العشى ، ويبتلعهم الزمن فى دوامته ابتلاعا ، وقد ركبوا متون الهوى ، وراحوا يصبون من كؤوس الغفلة والبعد ، ويظلون هكذا حتى تتخطفهم رياح النوى ، ويتسلل إليهم الموت فإذا أعمالهم هباء ، وسعيهم خواء ، قد أغضبوا رب

---

(١) سورة يونس ، الآية ٤٥ .

(٢) سورة النازعات . الآية ٤٦ .

الأرض والسماء .

إن موقف الأقدار من الناس كله جد وصرامة ، فإذا كانوا فى وقتهم يلهون فإن كل شئ عندها له حساب معلوم : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾ (١) .

إن الإنسان ماض إلى ربه لا محالة فى ذلك ، قادم عليه شاء أم أبى وكل دورة للفلك تتمخض عن يوم جديد فهى مرحلة فى الطريق الذى لا يتوقف بسالكيه أبدا ، حتى يبلغ بهم النهاية ، التى لا مناص منها ولامندوحة عنها . ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ﴾ .

أليس من العماية وقصر الإدراك أن يظن الإنسان نفسه واقفا والزمن يسير ؟ ! إنه خداع النظر إذ يخيل لراكب القطار أن الأشياء تجرى وهو جالس والواقع أن الزمن يسير بالإنسان نفسه إلى مصيره العتيد .

إن الإسلام دين الحركة والحياة ، وشريعة الجد والعطاء ، قد قدر خطورة الوقت وفاعلية الزمن ، ولابد للمسلم أن يعى هذه الحقيقة ويسير على هداها حتى يكون من عباد الله المؤمنين .

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ (٢) .

والذين ذهلوا عن غدهم ، واغتروا بحاضرهم ، ورأوا فيه منتهى آمالهم حتى سحروا ببريقه الخادع يقول الله - تعالى - فى شأنهم : ﴿ إن

---

(١) سورة المجادلة ، الآية ٦ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩٠ .

الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١).

إن الإسلام لم يجعل فى حياة المسلم فراغا يملؤه بالتفاهات والهزليات ، فشغلها بالعبادات والطاعات ، واستباق الخيرات وفعل المكرمات ، حتى يطرد من دنياه أشباح الكسل ، ويربى فى نفسه بواعث العزم والأمل ، ولايقبل الإسلام من معتنقيه أن ينفقوا أوقاتهم فى اللهو الفارغ واللعب الرخيص ، فإن ذلك سيغدو حسرة على الإنسان يوم توصد فى وجهه الأبواب

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

إخـــوة الإيمان :

إن عمر الإنسان هو رأس ماله ، وسوف يسأل عنه كيف أمضاه ،

---

(١) سورة يونس ، الآيتان ٧، ٨ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) سورة السجدة ، من الآية ١٢ إلى ١٤ .

وعلى أى وجه أفناه ، يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن عمله ماذا عمل به** » [1].

إن الزمن لا يقف محايدا ، فإما أن يكون للإنسان صديقا ودودا أو ينقلب عليه عدوا لدودا ، و لذا فإن على الجماهير المسلمة أن تدرك مغزى الحكمة القائلة « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك » .

إخـــوة الإيمان :

إن اليوم فى حياة الفرد والأمة كنز ثمين تستطيع به أن تتقدم خطوات وخطوات ، ومن الخيانة لله ورسوله أن يضيع هباء منثورا لا تدعم فيه قوة أو تبذل فيه طاعة أو تقدم فيه خدمة أو يتزود فيه بعلم أو يضاعف فيه إنتاج .

إن الإنسان الذى يعيش فى بحبوحة من العيش والصحة وفسحة فى الوقت وراحة فى البال ثم لا يستغل ذلك فى سعادته فى الدنيا والآخرة هو الذى خسر الدنيا والآخرة .

يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس « الصحة والفراغ** » [2].

إن الإسلام يطلب من الفرد أن يستغل وقته بمداومة العمل ولو كان

---

(١) رواه الترمذى والدارمى وغيرهما عن أبى برزة الأسلمى - رضي الله عنه -

(٢) رواه البخارى ، والترمذى ، وابن ماجة ، والدارمى عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -

قليلا ، لأن هذا القليل مع سير الزمن الموصول يتحول إلى كثير ، وإن أحب الأعمال إلى الله مادام وإن قل .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « **خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا** » [1] .

وفى حديث آخر « **سددوا وقاربوا** » [2] .

والإسلام يشجع التبكير فى مزاولة العمل ، ويرغب فى أن يستغل المسلم يومه بعزيمة متوثبة ، ولهذا كانت صلاة الفجر بداية يوم المسلم .

يقول الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - « **اللهم بارك لأمتى فى بكورها** » .

ويقول أيضا :

« **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** » .

---

(١) رواه الشيخان عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -

(٢) رواه البخارى عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وفيه « واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنه ، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل » .

الخطبة الثانية

الحمد الله .. خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور .

وأشهد ألا إله إلا الله . نعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ـ وصانا بقوله « **اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** » .

الصلاة والسلام عليك يا سيدى يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك الذين سمعوا وصيتك ففازوا وربحوا خير الدنيا ونعيم الآخرة .

إخـــوة الإيمان :

بين الإسلام قيمة الوقت ، ونعمة الوقت ، وبين للناس أن آجالهم معدودة وأوقاتهم محدودة ، نهانا عن الغفلة ، وبين أن أغلى ما فى الحياة الوقت فالوقت معدود ، والزمن محدود محصى عليك « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار** »[1] . دورية النهار تستلم إلى صلاة العصر ، ودورية الليل تستلم إلى صلاة الفجر ، يحصون عليك ما عملت من خير وشر .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم .

﴿ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[1].

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾[2].

الوقت منحة من الله لن يعوض إذا انصرم .

كان سيدنا أبو بكر - رضي الله عنه - يقول : « **اللهم لا تأخذنا على غرة** » .

والرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « **ما من يوم ينشق فجره إلا ويقول يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد تزود منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة** » .

فاصرف يومك أخى المسلم على هذا المثال :

فيما فرضه عليك من عبادة ، وما ندبك إليه من نوافل ، وفيما يعود عليك من كسب حلال ، وفيما يعود على غيرك بالنفع ، وفى راحة بدنك فإن لبدنك عليك حقا .

فالأيام خمسة : يوم مفقود : فهو اليوم الذى أنت فيه ، ويوم مورود فهو الغد الذى لا يعلم ما فيه إلا الله ، ويوم موعود وهو يوم سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد ، ويوم ممدود وهو يوم الموقف العظيم .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٨٠ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٦١ .

الاستعداد للموت

الحمد لله الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وإليه المرجع والمآب .

وأشهد أن لاإله إلا الله ، وحده لا شريك له ، كتب على نفسه الرحمة لمن طهَّر قلبه من أوساخ المعاصى وتاب .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله النبى الأواب ، القائل فى حديثه الشريف :« مالى وللدنيا ، إنما أنا كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم راح وتركها » .صلوات الله وسلامه عليه ، ضرب لأمته المثل الأعلى فى تحقير الدنيا والإعراض عنها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وعلى آله المطهرين الأصفياء الأتقياء وصحابته البررة الأتقياء ، ومن تبع سنته ، وسار على نهجه بإحسان إلى يوم اللقاء .

أما بعد ، فيا أيها المسلمون :

يقول المولى ـ عز وجل ـ : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ

لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[1].

عباد الله .

فى هذه الآيات البينات يصف الله - سبحانه وتعالى - الدنيا لعباده بأنها لعب باطل ؛ كلعب الصبيان ، ولهو ساعة زائل كلهو الشبان ، وزينة حقيرة لا بقاء لها كزينة النسوان ، وتفاخر بينكم بالحطام الفانى ، ومباهاة بالأموال والأولاد الذين هم لكم فتنة واختبار ، وامتحان وابتلاء ، وما متاع الدنيا إلامتاع الشقى المغرور ، ثم مثلها فى سرعة زوالها ؛ كمثل زرع أعجب المزارع نباته وهو أخضر جميل ؛ ثم يهيج ويكبر وينمو ويصفر ثم لا يلبث أن يذبل وييبس ويتكسر ؛ فإذا هو حطام لا يصلح لشئ سوى الدواب .

وأما الدار الآخرة مقر الخلود والنعيم والشهود ؛ فلالعب فيها ولا لهو ، بل فيها الجزاء الأوفى ، فيها النار ، وفى النار عذاب شديد لكل متكبر جاحد عنيد ، وفى الآخرة أيضا الجنة مقر الرحمة والمنة ، وفيها المغفرة من الله - تعالى - والرضوان والإنعام والإحسان ، وذلك لأهل الطاعة والإحسان ، أهل العبادة والعرفان ، أهل السعادة والاصطفاء والتفضل والاجتباء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، اللهم اجعلنا من الفائزين بجنتك ، المنعمين برضوانك ، . ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[2] .،واجعل لنا فى

(١) سورة الحديد . الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

(٢) سورة آل عمران . الآيتان ١٩٣ ، ١٩٤ .

الجنة مقعد صدق إنك أنت العزيز الغفار .

أيها المسلم الكريم :

هل تدرى متى يفجعك الموت ؟!

موت الأحبة كل يوم فاجع

وإذا احتضرت فذاك يوم أفجع .

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (١).

لذلك وجب الاستعداد للموت فى كل وقت ؛ لأنه قد يأتى فى أى وقت ، وأعظم ما يعين على الاستعداد له كثرة ذكره ؛لأن ذلك يورث المراقبة لله تعالى ، والمحاسبة للنفس .

وقد وصف النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - المكثرين لذكر الموت بالكياسة والفطانة ورجاحة العقل حين قال : « **أكيس الناس أكثرهم للموت ذكرا** » (٢) . لأن هؤلاء هم وحدهم الذين ينظرون إلى الدنيا بالمنظار الحقيقى ، ويزنونها بالميعاد الدقيق ، ولايرفعونها فوق درجتها ؛ فهم أهل الفطانة .

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

---

(١) سورة لقمان . الآية ٣٤ .

(٢) عن عبد الله بن عمر قال كنت مع رسول الله - ﷺ - فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبى ثم قال : يا رسول الله ، أىّ المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم خلقاً . قال : فأىّ المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم لما بعده استعداداً . أولئك الأكياس .

نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطنا

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

فالأعمال الصالحة وحدها سفينة نجاتك أيها المؤمن لتعبر بها إلى الدار الآخرة بأمن وأمان ، وسلم وسلام ، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فى ذلك لسيدنا أبى ذر - رضى الله تعالى عنه - والكلام للجميع: **«يا أبا ذر : أحكم السفينة فإن البحر عميق ، واستكثر الزاد فإن السفر طويل ، وخفف الظهر فإن العقبة كؤود، وأحسن العمل فإن الناقد بصير »**[1].

أيها الإخوة المؤمنون :

قال نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وأعدد نفسك فى الموتى ، وإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لوفاتك ؛ فإنك لا تدرى ما اسمك غدا » . فأنت الآن فلان وابن فلان وربما السيد أو الرئيس أو الوالى أو الأمير ، أما اسمك غدا فقد يقال : خرجت جنازة فلان ، ضعوا الجنازة ، صلوا على الجنازة ، ادفنوا الجنازة ، هذه هى الدنيا ، ورغم ذلك فهى تسحر المغرورين ، وتستهوى اللاعبين اللاهين العابثين ؛ الذين لا يفكرون فيما وراءها ، ولذلك أيها الإخوة جعل الإيمان باليوم الآخر ركنا من أركان الإيمان ، وعنصرا من عناصره ؛ حتى لاتغرنا الدنيا

---

(١) الأربعين النووية - عن أبى ذر - رضي الله عنه -

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (١).

« من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شئ » (٢).

قال شيخنا الجعفرى - رضى الله عنه - :

ازهد لكل مفارق من قبل أن ... تلقاه فارق فالبقا للباقى

لا سيما الدنيا كظل يا فتى ... تلقاه قد ولى بغير تلاقى

كم من غرور قد رآها جنة ... فأرته ذل العسر بالإملاق

وترى القنوع بها أراح فؤاده ... لما اكتفى بموائد الرزاق

فازهد تجد قلبا لديك منعما ... هذا النعيم لكل قلب راقى

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - :

« إن المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى ختم عليه لا يدرى ما الله قاض فيه ، وأجل قد بقى لايدرى ما الله صانع فيه ؛ فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار » (٣).

---

(١) سورة لقمان . الآية ٣٣ .

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك عن حذيفة - رضي الله عنه - .

(٣) شعب الإيمان - باب الزهد . قال الحسن البصرى - رضي الله عنه - « طلبت خطب النبى صلى الله عليه -

ويقول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« **التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** » .

= وآله وسلم ـ فى الجمعة فأعيتنى ، فلزمت رجلاً من أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم فسألته عن ذلك فساق الحديث .

كلمات المؤلف فى الاحتفال بمولد والده
الإمام الجعفرى

- ١ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

« سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم »

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » صدق الله العظيم

ورضى الله عن شيخنا سيدى صالح الجعفرى وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ، ونفعنا الله وإياكم بعلومه ، وأكرمنا ببركاته ورضاه ، ووفقنا للسير على نهجه وهداه . آمين .

السادة الأحباب :

أصحاب الفضيلة والسماحة والسعادة ضيوفنا الكرام ، والإخوة أبناء الجعفرى من السودان .

الإخوة أحباب الجعفرى فى كل مكان :

الإخوة أبناء الجعفرى ، وفود ساحات الجعفرى على امتداد الجمهورية الذين وفدوا للمشاركة فى المولد .

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

والشكر لكم على استجابتكم الكريمة لدعوتنا ، ومشاركتكم العظيمة فى إحياء ليالى المولد ، وفى هذه الليالى العامرة بكم نرحب بكم ترحيب المحبة والمودة والإجلال والإكبار ، نرحب بكم فى ساحة الجعفرى ، ومسجد الجعفرى ، وأنتم تشاركوننا بأنفسكم وبقلوبكم وأرواحكم بالبهجة وبالفرحة ، وبالدعاء لشيخنا عليه رضوان الله فى هذه الليالى السعيدة من مولده ، المبارك .

« الإخوة والأحباب » فى آفاق الاحتفال :

بهذا اللقاء الحاشد العظيم ، لقاء الوفاء والصفاء ، لقاء المشاعر الفياضة ، لقاء الأرواح بالأرواح ، لقاء القلوب بالقلوب ، لقاء المحبة والمودة ، فى هذه الأيام العظيمة نحتفل بهذه المناسبة الطيبة ، التى هى مجمع الأرواح التقية ، والنفوس الزكية ، والقلوب النقية ، فى ليالى أعلى الله قدرها ، ونشر ذكرها فأولاها من محبة عباده المخلصين الصالحين ، ما جعلهم يهاجرون إلى هذه الساحة العامرة ، يذكرون الله ﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فجاءوا من كل فج يحدوهم الإيمان والشوق ، متحابين متزاورين فى الله ، وإننا فى هذا الجمع المتوج بذكر شيخنا : نغترف من بحر معرفته ما يملأ قلوبنا ، ويهذب نفوسنا ، ونأخذ من سيرته ما فيه القدوة الصالحة والأسوة الحسنة ، وما تشرق به هذه السيرة من هدى ونور ، وما تلهم به من إيمان

وتقوى وحب وإخلاص ..

المولد فى التاريخ الإسلامى:

« الإخوة الأحباب »

لموالد أهل البيت والأولياء والصالحين والعلماء العالمين والاحتفال بها مكانة سامية فى تاريخنا الإسلامى ، فهى أعياد أهل الله المحبين لأولياء الله وأفراحهم ، والمتنفس الكريم لعواطفهم وخواطرهم ، لأن تنفس هذه العواطف والخواطر فى موالد الأولياء والصالحين غيره فى أى احتفالات أخرى لا تحمل هذا المعنى الجليل النقى ، بما فيها من مظاهر الحب والإيمان واللقاءات الروحية .. وهى فى المقام الأول تعبر عن وفاء صادق وحب أكيد ، لا تدفعه مصلحة دنيوية ، أو أغراض ذاتيه ، وإنما هى لقاء فى الله ولله حبا فى أولياء الله ، ثم هى فوق ذلك صيحة عالية تذكر الناس بربهم ، وتذكرهم بنبيهم ، وتذكرهم بأحباب الله وأوليائه ، الذين أحالوا الكون محاريب للذكر ومنابر للدعوة ، وفى تكرارها تكرار للذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين .

وهى تعبير تعبيرا صادقا عن مكانة التصوف وأثره فى القلوب المؤمنة ، والنفوس المطمئنة ، وفى هذا إشارة إلى الاستجابة له ، واللجوء إلى حصنه الحصين ، وصرحه الشامخ ، الذى تلوذ به الجماهير وتعتصم به ضد كل ما يتربص بها من تيارات وانحرافات مادية وإلحادية وعقائدية .

الموالد فى ميزان الشاذلى :

ولقد كان الإمام أبو الحسن الشاذلى - رضي الله عنه - : يقول لخصومه « بيننا وبينكم الموالد » وصدق أبو الحسن - رضي الله عنه - ففى هذا الجمع المبارك تتجلى

مكانة التصوف ، وتتجلي مكانة أعلامه وأقطابه من الأولياء والصالحين والعلماء العلمين فى هذه الجموع الحاشدة الذين جاءوا من كل فج ، ولسان حالهم يقول : جئنا لنحيى ذكرى رجل أحب الله فأحبه الله ، فوضع له القبول فى الأرض ، فاجتمعت القلوب على حبه وتلاقت على إجلاله وإكباره ، وتعاهدت على تكريمه .

مكانة الصوفية في قلوب المسلمين :

لقد كان الإمام الصوفى سهل بن عبد الله التسترى يقول : من أراد أن يعرف مكانة التصوف فلينظر إلى مقام رجاله فى القلوب ، لقد كتب الله حبهم على أفئدة الذاكرين من عباده ، وأسكنه قلوب المتقين من خلقه ، وفى الحديث عن رب العزة « إن أوليائى هم الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم » وإن هذا اللقاء وأمثاله من لقاءات على ساحات أهل البيت والأولياء والصالحين والعلماء العاملين فيه نظرة كشف للحقيقة الصوفية ، ممثلة فى أعلامه وأقطابه فهم مصابيح هدى ، ومشاعل نور على طريق الإيمان والدعوة إلى الله ، تتجمع حولها القلوب المؤمنة بعواطف المحبة الصادقة ، تشاهد فيها أثر الله على أوليائه ، وفيض الله على أحبابه ، وما يتمتع به الأولياء من كرامات وبركات وهبات ونفحات هى من فيض الرحمة الإلهية هدية زكية لمن أطاع الله ورسوله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين .

منهج الإمام الجعفري في الاحتفال بالموالد :

ولقد كان دور أبناء الإمام الجعفرى فى إبراز مولد شيخهم بالصورة المشرقة المشرفة للتصوف ورجاله يتفق مع منهج شيخهم، فهو فى مذهبهم موسم للخير والبر والتآلف والتآزر والتعاون على البر والتقوى ، ومنبر للعلم

والمعرفة ، وساحة للوعظ والإرشاد وحلقة للذكر .

فقد وضع شيخنا عليه رضوان الله أسلوبا نهجه ونهجناه من بعده فى احتفالاته بدءا بمولد الرسول ﷺ وآل البيت والأولياء والمواسم الإسلامية والذكريات النبوية بإطعام الطعام ، وبذل الصدقات ، وكانت حلقات ذكره تشمل دروساً فى سيرتهم ومواعظ من حياتهم ، ولقد نظم شيخنا عليه رضوان الله ديواناً جمع فيه قلائد من السيرة النبوية ، وقصائد فى التوحيد وتمجيد الذات العلية بأسماء الله الحسنى ، ومدح آل البيت وسطر فيه درراً من الشعر الصوفى الرائع ، كما ألف مولداً فى سيرة رسول الله ﷺ ، وهو فصول منتقاة من شمائل رسول الله ، وفيه رد على الخارجين عن المألوف بين المسلمين ، الذين أظلمت نفوسهم وزلت عقولهم ...وتراث الجعفرى المنظوم والمنثور : كنز علمى ، ومدرسة صوفية ، فيه إشارات عبرت عن لقاءات روحية ووجدانية راقيه .

أقطاب التصوف والدعوة الإسلامية :

هناك ملحمة تاريخية عظيمة الأثر لأقطاب التصوف الإسلامى ودعاته ومشايخه فى آفاق الدعوة الإسلامية ، فقد طافوا بنور الإيمان وهدى الإسلام مجاهل إفريقيا يبشرون بالإسلام دينا والصوفية تربيه روحية ! .

وللطرق الصوفية دورها البارز فى السودان منذ دخول الإسلام ، وكانت رسالة الطرق الصوفية هى نشر الدعوة الإسلامية .. فلقد بشرت به وقامت دعوته على أيدى مشايخ أعلام فى التصوف الإسلامى ، فالمجتمع الإسلامى فى السودان مجتمع صوفى المشرب يدين للتصوف الإسلامى وأقطابه بالولاء والعرفان .

الإمام الجعفرى في السودان :

وكان شيخنا عليه رضوان الله داعية موفقا ، فقد كانت أيامه فى السودان حلقات درس وذكر ، يطوف بها المدن والقرى والبيوت ، وكان الناس يسيرون معه حيث سار ، فقد أخذت حلقات درسه بمجامع القلوب حيث حل وحيث سار، ولا تزال ذكرى تلك الحلقات عالقة فى قلوب المحبين والمريدين إلى يومنا هذا ! .

صلة الإمام الجعفرى بأقطاب التصوف :

ولقد نهج شيخنا عليه رضوان الله نهج السلف الصالح من أقطاب التصوف الإسلامى ، تتلمذ عليهم ، وشد الرحال إليهم ، وزارهم فى بلادهم وخلواتهم ، وزواياهم ، فى بلاد المغرب وفلسطين والأردن والعراق ومصر والسودان ، فما من ولى إلا وزار مقامه واستلهم إلهامه ، وما من شيخ إلا وتلقى عنه ، وأخذ الإجازة منه ، وعنى بتراثهم ونقب عن مخطوطاتهم وكراساتهم ومسوداتهم وأقوالهم ، ونقحها ، وشرحها ، وعلق عليها ، وطبعها على نفقته الخاصة ، ونشرها ..

ولقد حظيت مؤلفات العالم العلامة ، مربى المريدين ، وشيخ الواصلين ، ذى العلم النفيس ، سيدنا ومولانا الشريف الإمام السيد أحمد بن إدريس الحسنى المغربى العرائشى - رضي الله عنه - باهتمامه وعنايته ، فقد عكف عليها وأخرجها فى مطبوعات متعددة ، لما فيها من العلم النفيس ، والأثر الصوفى الثمين ، ولما فيها من نفحات وكرامات ، فقد أعطاها شيخنا عليه رضوان الله بعثا جديدا أظهر على يديه علمها المكنون ، فكانت مددا لحياة السيد أحمد بن إدريس موصولا بمدد الجعفرى الذى جدد التراث الأحمدى ، وأبانه وصانه...

الطريقة الجعفرية :

من المعروف أن تلاميذ سيدى أحمد بن إدريس الذين تلقوا عنه الطريقة الشاذلية من مثل السيد محمد سر الختم الميرغنى، والسيد محمد على السنوسى ، والسيد المجذوب ، والذين تلقوا عنه الطريقة المحمدية الإدريسية مثل السيد إبراهيم الرشيدى ، كل هؤلاء تلقوا عنه الأوراد ثم تلقوها عن النبى ﷺ .

فأبناء السيد أحمد بن إدريس كلهم مشايخ لهم طرق بأسمائهم وتفرعت عنهم طرق مثل الدندراوية والإسماعيلية والصالحية عن الطريقة الرشيدية ، وإمامنا المجدد الإمام الجعفرى مؤسس الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية ، والتى تمثلت فيها أصول الدين وأحكامه علما ، فكان منهجة القرآن والسنة ، وتجلت فيها روحانية التصوف تربية ، فكانت مظهرا للحقيقة الصوفية السامية ، تطبيقا للقول الشريف « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

ولقد ربى شيخنا تلاميذه ومريديه على نهج الهداية الواضح ، الخالى من كل مبتدع دخيل على التصوف ، فقد كانت حلقة ذكره فى الجامع الأزهر الشريف يحضرها العلماء من جميع البلاد العربية يزورونها ، واليوم أبناء الإمام الجعفرى على إمتداد الجمهورية ومحافظاتها ومدنها وقراها وفى السودان بل فى العالم الإسلامى كله فى ساحاتهم وحلقات ذكرهم يسيرون على نهجه وهداه مثلهم مثل شيخهم فى حياته .

أبناء الإمام الجعفرى فى وادى النيل :

وأبناء الإمام الجعفرى فى مصر والسودان وطريقته الجعفرية

الأحمدية المحمدية لبنة رصينة فى صرح التكامل الشامخ بين مصر والسودان بل هم معلم بارز من معالم التوافق والتجانس بين الشعبين الشقيقين ، فقد تمثلت فى العقيدة الإسلامية والحقيقة الصوفية الوحدة المتكاملة شريعة وحقيقة ، فرابطة الإسلام دينا والصوفية مذهبا وطريقا هما صمام الأمان لوحدة أزلية أقرها العقل وحفظها القلب والوجدان ، فأى رابطة أقوى من رابطة العقيدة الإسلامية ؟ وأى رابطة أصفى من رابطة الحقيقة الصوفية ؟ فتلك لعمرى حقيقة صنعتها يد القدرة هداية وتوفيقا من الله عز وجل لها أصولها وأبعادها فى مستقبل وحدة وادى النيل الذى تربينا على ضفافه، وروينا من مائه ، وعشنا على غذائه ، هبة الله لشعب وادى النيل .

ما كان إمامنا وشيخنا إلا فرعا من تلك الدوحة المحمدية الطاهرة السامقة ، نفخ فيها الإيمان من روحه فخلصت خلوص الزهد والورع والتقوى والصلاح ، وسطعت سطوع الهدى ، وصفت صفاء الفطرة ، ثم تبلورت فيها محمدية الإسلام الموروثة ، وصوفية الصفاء الموهوبة، فصار رضى الله عنه لسانا لهداية الخلق ، ففى دنيانا فجر لنا من ينابيع الحكمة وكنوز العلم والمعرفة وأسرار القرآن فجاء بالجديد والغريب من التفسير الذى لم يسبقه إليه سابق ، ذلك لأنه رضى الله عنه لا يملك عقلامكتسبا إنما يملك عقلا موهوبا ملهما من الله مقتديا برسول ا لله ﷺ فكان مصداقا لقول رسول الله ﷺ « **يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها** » .

دروس الإمـــام :

كانت حلقات درسه العامر جامعة إسلامية تتلمذ على يديه فيها الآلاف من مختلف الأجناس والأقطار ، حيث كان يعطى من كنوز عقله

ومواهب فكره ، وفيوضات قلبه ، وروحانية ورحه ، فينال كل وارد على قدر استعداده .. فكان شيخنا - رضي الله عنه - يخاطب الضمائر والخواطر ، ويجيب على تساؤلات العقل ، وهواجس النفس ، مما جعل حلقات درسه جامعة إسلامية ، علمية المذهب ، صوفية المشرب ، تربط بين الشريعة والحقيقة ، والظاهر والباطن ، والنفس والروح ، والعقل والوجدان ، بوشائج لا تنفصم على مر الزمان ..

الإمام مع أبنائه :

لقد ارتكزت علاقة الإمام الجعفرى مع أبنائه على دعائم الحب الخالص الراسخ ، الذى يرتفع بصاحبه إلى أن يتحقق بتلك الدرجة السامية : (المرء مع من أحب) ، فكانت علاقته - رضي الله عنه - بأبنائه علاقة الأبوة ، فكانوا معه وكان معهم فى جميع أحوالهم وأعمالهم ، يسرون إليه بهمومهم والآمهم فيجدون فيه الأب المشفق والطبيب الناجع ، ويهرعون إليه عند نزول البلاء والخطوب ، فيلوذون بركنهم الركين ، ويحتمون بحصنهم الحصين ، ويستفتونه فى أمور دينهم ودنياهم فيلقون المستشار المؤتمن والناصح الأمين .

خلود المناقب والآثار :

الإخوة الاحباب : إذا كان شيخنا - عليه رضوان الله - قد انتقل إلى الدار الآخرة فقد خلف تراثا باقيا يخلد اسمه وذكره مدى الدهر ، فقد ترك شيخنا - عليه رضوان الله - تراثا علميا صوفيا ، صافى المورد ، عذب المنهل ، متمثلا فى مؤلفاته العديدة التى طرقت معظم أبواب العلم .. فمكتبة التراث الجعفرى فيها كتب قيمة ، ذات إلهامات ونفحات وبركات وفيوضات وتجليات من قرأها بحب ويقين استبان حقيقتها ، ورأى بين سطورها نور الحكمة

والموعظة الحسنة ، ومازالت الأيام تكشف لنا عن مؤلفات لم نكن نعرفها من هذا التراث الخالد ، وهى تصدر تباعا رفعا لذكره ، وتخليدا لاسمه ، ومدرسة لأبنائه من بعده ..

الشجرة الطيبة :

وأغلى ما خلفه شيخنا - رضي الله عنه - تلك الشجرة الطيبة التى غرسها بيده ، وسقاها من مدده ، وتعهدها بتربيته ، وشملها بنفحاته وبركاته وحبه ورضاه أبناؤه البررة ، خلفاؤه الأوفياء ، تلاميذه الأتقياء ، أهل الحب والصفاء ، الذين ورثوه علما وعملا ، وورثوه تقوى وصلاحا، وورثوه زهدا وعزة ، وورثوه صفاء ونقاء ، وورثوه طريقة وذكرا ، وورثوه صلة واتصالا، وورثوه رحمة ومودة ، وورثوه نورا ملا الافق ضوؤه وسناه ، وورثوه خلقا عظيما لسلف عظيم ، فكانوا خير خلف لخيرسلف ..

سيدى الإمام : وقفة الاعظام والإكبار أمام اسمك العظيم ، نعزه ونجله ما عشنا أيام الدنيا إلى أن يلقاك .. وعزاؤنا إن فقدناك أنك حى بذكراك وإن غبت عنا فقد بقيت بيننا سجاياك، وروحك الطاهرة تطل علينا من رحابك الطاهرة بنورانية إشراقاتك وتجليات نفحاتك، ترفرف فوقنا ، وتبارك جمعنا..

ولقد أعلى الله قدرك ، ونشر ذكرك، وأبقى أثرك : ففى قلب قاهرة المعز ، وعلى جبل الدراسة الأشم ، وفى حديقة الخالدين : مسجد تعلو منارته ، ومقام تسمو قبته تعانق سماء القاهرة.. لأى ولى هذا ؟ أو لأى عالم هذا ؟ إنه مسجد الجعفرى ، ومقام الجعفرى ، ومركز الجعفرى الإسلامى ، ودار الجعفرى للقرآن ، ومستشفى الجعفرى الخيرى ، وعيادة الجعفرى العمومية ، ودار الجعفرى للمناسبات ..وغير ذلك من دور الخير والبر ..

بل انتشر الخير وعم النفع فأصبح هنالك ستون مسجدا وساحة تحمل اسم الجعفرى على امتداد الجمهورية من إسكندرية إلى أسوان .

فإذا كانت الاثار تحكى عظمة أصحابها فما أدل هذه الآثار العظيمة الخالدة على عظمة الجعفرى ، وخلود ذكره ، « وما عند الله خير وأبقى » .

ألا رحم الله إمامنا وشيخنا رحمة واسعة ، ورضى الله عنه وأرضاه . وجعل الجنة متقلبه ومثواه ، ونفعنا الله وإياكم بعلومه ، وأكرمنا بمحبته ورضاه

- ٢ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه الكثيرة ، وخيراته الوفيرة التى حبانا بها إكراما لنا .

وأجل هذه النعم وأكرمها عند الله تعالى أن تفضل علينا بنعمة الأخوة التى غرس شيخنا عليه رضوان الله شجرتها فى قلوبنا ، وسقاها من فيوضاته ، وأمدها بمدده ، وباركها ببركاته .

والإخوان الذين أعطوها الوفاء والحب ، والصفاء والإيثار كانوا يقدرونها حق قدرها كتقدير ذواتهم وأهلهم وأولادهم .

هذه الشجرة سما ساقها ، وامتدت فروعها ، واخضرت أوراقها ، وأينعت ثمارها ، فقطفنا منها معانى المحبة الحانية ، ومعانى المودة والرحمة .

الإخوة الأحباب

لاشك أننا جميعا نحسب الأيام ونعدها عداً ، متى نلتقى ؟

وإذا كان الفراق ألزمته الضرورة فإن هذا اللقاء جاء نتيجة صدق الكلمة ، ووفاء العهد .

جئت إليكم كما جاء والدى إليكم ، تركت كل شئ وراء ظهرى ، تركت بلدى ، ووطنى وأهلى ، وعملى الحكومى ، وأعمالى الأخرى .

وأولادى تركوا المدارس ، ومنهم من ترك شغله .

جئت إليكم بعد عشر سنوات شاركتكم فيها بإخلاص فى وضع

القاعدة التى تقوم عليها الطريقة.

والطريقة هى أهم شئ فى نظرنا جميعا ، هى كل مانملك ونحرص ونعمل .

وعندما فكرت فى التقديم للمشيخة للاعتراف بالطريقة كان هذا التفكير له أسبابه ؛ لأن المسألة ليست (حضرة ومولد ، ماحد سائل ولاحد يمنع ، ونحن معروفين) لا ، هذا تفكير سطحى .

إن الاعتراف بالطريقة الجعفرية يحقق أشياء كثيرة ، ومتعددة ، وهو فعلا حقق لنا هذه الأشياء :

أولا : تحقيق رغبة الشيخ فى قيام طريقة تحمل اسمه ، وتفتح مدرسته الصوفية ، فكل الطرق الصوفية تحمل أسماء مشايخها الأعلام الذين أسسوا مدرستها ، هؤلاء المشايخ لهم مشايخ أخذوا عنهم ، ومن ذلك كانت أصول وفروع ومدارس الطرق الصوفية قديما وحديثا .

ثانيا : الحفاظ على الإخوان الذين صاروا مطمعا للطامعين بعد انتقال الشيخ ﷺ ، يريدون اجتذابهم بعيدا عن مدرسة الشيخ وطريقته .

ثالثا : تحقيق الجانب الأمنى لأبناء الطريقة ؛ إذ لابد لهذه المجموعة من حماية قانونية ، وكل تجمع يخضع لرقابة أمنية ، والحماية الأمنية لا توجد إلا تحت مظلة الطرق الصوفية عن طريق المجلس الأعلى للطرق الصوفية ، وعن طريق اعترافه بالطريقة وإدراجه لها فى سلك الطرق الصوفية ، وفى داخل هذا الإطار الصوفى تكون الحماية .

أيها الإخوة الأحباب :

هذه هى الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية ، فحتى فى الاسم سلكنا مسلكا لم يسلكه أحد من قبلنا ؛ لأننا وضعنا مؤشرات :

الجعفرية : يرمز إلى الشيخ صالح ، وكان يمكن أن نقول : الصالحية كما فعل الصالحى فى الصومال ، ولكن قصدنا من الجعفرية الاسم الأشمل والأعم ، وقصدنا أيضا أن يشير هذا إلى السادة الجعافرة الحسينية ، وفيه استقطاب للقبيلة .

والأحمدية : إشارة إلى سيدى أحمد بن إدريس

وهو اعتراف بأن سيدى أحمد بن إدريس هو شيخ شيخنا ، ونحن شيخنا سيدى صالح الجعفرى الذى عرفنا منه سيدى أحمد بن إدريس

والمحمدية : يرمز إلى الحضرة المحمدية ، حضرة النبى ﷺ ، والذى تلقى عنه شيخنا كما ذكر ذلك فى تراثه .

وهذا الاسم يخالف مسلك كل الطرق التى تفرعت عن سيدى أحمد بن إدريس :

الميرغنية ، والختمية ، والرشيدية ، والدندراوية ، والتوفيقية ، والصالحية .

وقصدنا فى ذلك أن نوثق الطريق عن طريق مشايخه حتى فى الاسم .

الإخوة الأحباب :

قصدت من حديثى هذا المكرر أن أؤكد لكم تأكيدا جازما قاطعا أن الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية لم تأت من فراغ ولاعن مزاج ، وليس لأى مدع أن يدعى أنه عمل هذا الطريق .

لقد تقدمنا للجهات المعنية ، وقدمنا لها وساطات تحمل حجتنا ورأينا ، وهى موفودة منا بتكليف ، وقد سمعت فى أسوان أن هناك أشخاصا يقولون : نحن صدقنا بعمل هذه الطريقة ، وهذا قول مردود ، فليس لجهة الحق أو السلطة أو الصلاحية فى أن تمنحنا التصديق ، بل المذكرة التى كتبتها أنا شخصيا وفيها رأينا وحجتنا هى التى أخذبها الشيخ التفتازانى فى مذكرته للمجلس الصوفى الأعلى ، وصدق المجلس بناء على قناعات جاءت فى تلك المذكرة .

والطريقة الجعفرية أكبر مكسب حققناه على مدى عشر سنوات ، وقد استطعنا أن نجعل منها طريقة مثالية تجمعت حولها الناس من كل فج ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

- ٣ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوة الأحباب أبناء الجعفري

أهل الحضرة الجعفرية على مختلف ساحاتهم على امتداد الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أخاطبكم اليوم بكل مشاعر الحب والإخاء والوفاء والشكر والتقدير والوفاء لما قمتم به من استقبال حافل ، وكرم كريم ، ومجاملة طيبة ، ومعاملة فاقت كل تصور ، وحققت التعاون الكامل المكمل فى جميع المجالات التى وفقنا فيها ، وتحققت على أيدى أبناء الشيخ فى مختلف الساحات .

لا أخفى سرا إن قلت : إن كرامة الله فعلا تحققت فى أبناء الشيخ .

الإخوة الأحباب :

أول مابدأنا به مولد شيخنا عليه رضوان الله .

وكان مولدا فريدا من نوعه تتحدث عنه الناس إلى اليوم ، وكان ظاهرة من ظواهر الحقيقة الصوفية النقية البعيدة عن كل دخيل على التصوف ، وقد عبرت عنه الحقائق الآتية :

١ ـ النظام العام ودقته .

٢ ـ عدم الاختلاط .

٣ ـ عدم البدع المنكرة فى الموالد كالطبل والزمر .

٤ ـ الدعوة العامة المفتوحة للجميع .

٥ ـ حلقة الذكر والمديح وما فيها من علوم وتجليات .

ثانيا : طوافنا على ساحات الجعفرى ، وفى قائمة الحساب زرنا خمسا وثلاثين ساحة من الإسكندرية إلى أسوان منها سبعة عشر مركزا إسلاميا يحمل اسم المركز الجعفرى الإسلامى ، وهى مراكز خاصة بنا أقمناها على حسابنا الخاص بأبناء الشيخ .

وأما الساحات فهى مساجد يقوم أبناء الشيخ بصيانتها والعمل على إصلاحها وإدراتها .

وعندما أقول : مركز إسلامى أو ساحة أعنى بذلك أبناء الشيخ صالح الجعفرى ، أعنى بذلك الطريقة الجعفرية ، أعنى بذلك الشيخ صالح الجعفرى ، شامة بين الناس وصحوة صوفية شبابية ، فيها أخلاق القرآن ، وأنوار العلم ، وتواضع التصوف ، وعمل الرجال ، ولا أستطيع أن أقول إلا ما قلته قديما :

(أبناء الجعفرى كرامة الله التى أكرم بها شيخنا عليه رضوان الله)

وهى كرامة من صنع الله الذى أتقن كل شئ ، هذا ، وبالله التوفيق ، نعم المولى ونعم النصير.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
١ ـ المقدمة	٣
٢ ـ التوبة من أشرف المقامات	٩
٣ ـ الإسلام دين النظافة	٢١
٤ ـ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين	٢٨
٥ ـ الرق وعلاجه فى الإسلام	٣٧
٦ ـ فى ضيافة الرحمن	٤٥
٧ ـ رسالة المسجد	٥٣
٨ ـ بيوت الله منارات للعلم	٥٨
٩ ـ رمضان شهر القرآن	٦٣
١٠ ـ رمضان شهر الجهاد	٧١
١١ ـ مدرسة الصيام	٨٠
١٢ ـ عيد الفطر المبارك	٨٦
١٣ ـ حكم الإسلام فى الردة	٩٨
١٤ ـ الحياء من الإيمان	١٠٥
١٥ ـ الحلم سيد الأخلاق	١١١
١٦ ـ حفظ الأمانة وأداؤها	١١٧
١٧ ـ العوامل التى تهدم المجتمع الإسلامى	١٢٣
١٨ ـ التحذير من الغيبة والنميمة	١٣٠
١٩ ـ التحذير من اليمين الغموس	١٣٧
٢٠ ـ الولاية والأولياء	١٤٤
٢١ ـ مشروعية الاحتفال بالمولد النبوى الشريف	١٥٥
٢٢ ـ حلية رسول الله وصفته	١٦٦
٢٣ ـ مسئولية الكلمة	١٧٨
٢٤ ـ أهمية الدعوة إلى الله تعالى	١٨٧
٢٥ ـ قيمة الوقت	١٩٤
٢٦ ـ الاستعداد للموت	٢٠٢
٢٧ ـ كلمات للمؤلف فى الاحتفالات بمولد والده	٢٠٨
الإمام الجعفرى رضي الله عنه	٢١٩